الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي بن مهيدي-أم البواقي-

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الأبعاد التداولية في كتاب "البرهان في وجوه البيان" لـ:"ابن وهب الكاتب"

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة والأدب العربي

تخصص: علوم اللغة العربية

إعداد الطالبتان:

- أمال مزراق

- وداد كحل

تحت إشراف الأستاذ:

هشام بلخير

أعضاء لجنة المناقشة

-الأستاذ: لمياء عيطو رئيسا.

-الأستاذ: هشام بلخير مشرفا.

-الأستاذ: هندة كبوسي مناقشا.

السنة الجامعية:

1437هـ/1438هـ

2016م/2017م

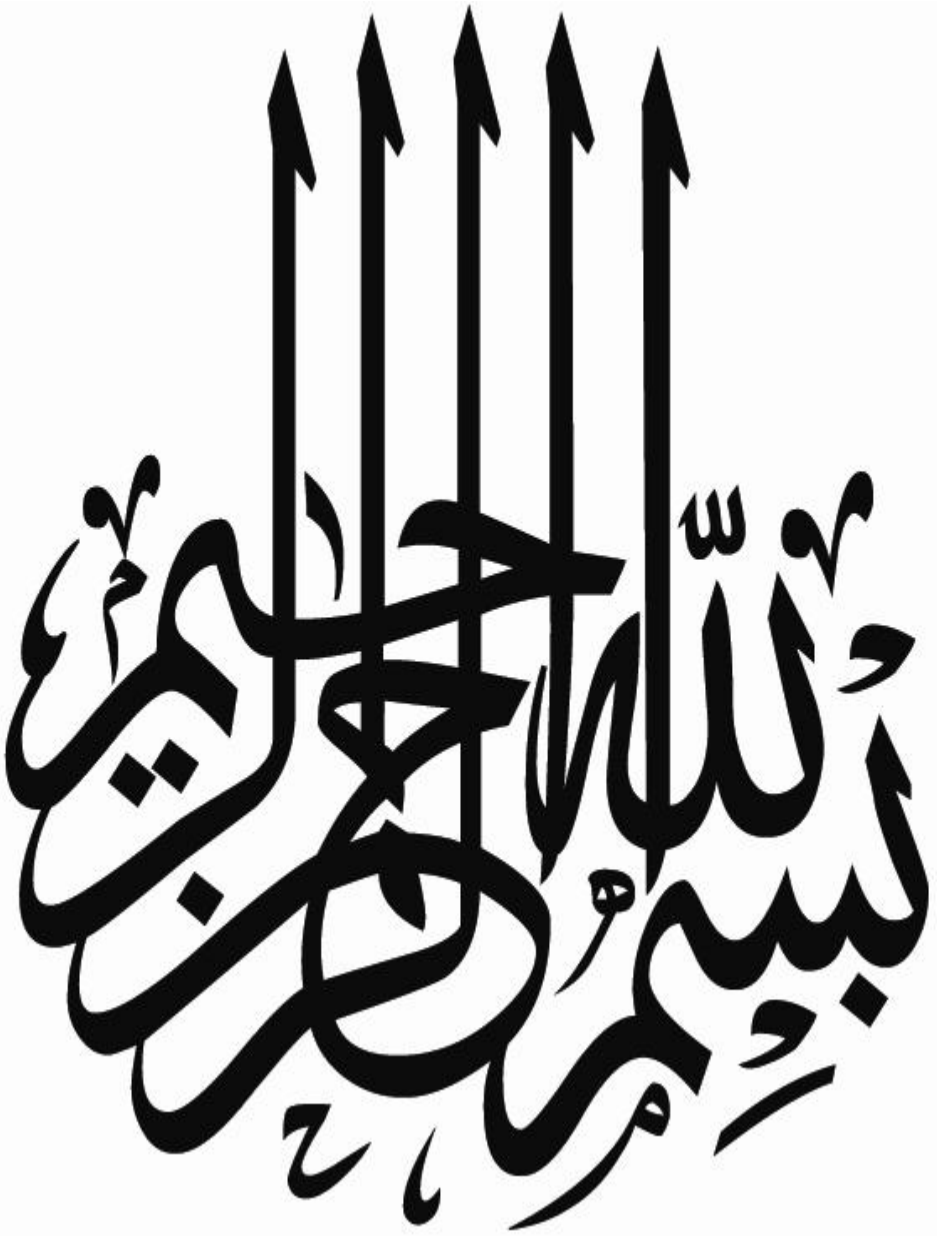
بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿ ... يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾

سورة المجادلة الآية:[11]

مقدمة

تعتبر التداولية من أحدث القضايا اللسانية التي ظهرت وتطورت في ساحة الدرس اللساني المعاصر، ورغم تشعبها وتداخلها مع العلوم المعرفية الأخرى إلا أنها فرضت نفسها. باعتبارها علم يعتد به في الدراسات اللسانية المعاصرة، نظرا لاهتمامها بجميع أقطاب العملية التواصلية من متكلم ومخاطب، ومقام، وإحاطتها بكل الظروف المتعلقة بالعملية التواصلية، كما تسعى التداولية إلى الكشف عن مختلف ما ينتجه لنا التحليل التداولي.

رغم حداثة هذه القضية إلا أنّ لها إرهاصات ومرجعيات فكرية على مستوى التراث اللغوي العربي، فتناولت دراساتهم مباحث لا تكاد تختلف كثيرا عمّا يتناوله الدرس اللساني الحديث، فكانت عنايتهم بالمتكلم والمخاطب والمقام الذي يجري فيه الكلام والظروف المحيطة بهما.

لذا رغبنا في تصفح التراث اللغوي العربي لإظهار مدى قيمته وأسبقيته في بعض المسائل، فوقع اختيارنا على كتاب "البرهان في وجوه البيان"لـ: "ابن وهب الكاتب" الذي يعد من أهم المصادر التراثية محاولين من خلاله استنباط أهم المفاهيم والمواضيع التي لها علاقة بالدرس التداولي الحديث. بناء على هذا جاء عنوان البحث موسوما بـ:

الأبعاد التداولية في "كتاب البرهان في وجوه البيان" لـ"ابن وهب الكاتب"

ولعلّ ما دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع هو قلة الدراسات اللغوية في هذا الصدد ، وكذا الرغبة والميل الشديد للموروث العربي القديم من خلال كتاب "البرهان في وجوه البيان" لـ"ابن وهب الكاتب " لما اختزنه من ثراء لغوي.

وتكمن أهمية هذا البحث في كونه يطمح إلى تطبيق ما توصلت إليه التداولية من دراسات وأبحاث على كتاب عربي تراثي محاولا تتبع أبعاده التداولية، وكذا وجوب قراءة التراث اللغوي القديم في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة.

ومن أهم الدراسات السابقة التي تطرقت إلى هذا الموضوع نذكر منها:

-الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني -سورة البقرة أنموذجا-لـ: عيسى تومي.

-الأبعاد التداولية في مقامات الحريري، لـ: النذير ضبعي.

والملاحظ على هذه الدراسات أنّها لم تتطرق إلى أهم الأبعاد التداولية من: مبادئ المحادثة ووظائف اللغة، كما ركزت هذه الدراسات على الجانب النظري أكثر من الجانب تطبيقي وتبقى هذه الأبحاث مجرد أشتات متفرقة خاصة المرتبطة بالتراث العربي.

ونظرا لما احتواه الكتاب من وظائف لغوية مختلفة وأبعاد سياقية، سعى البحث للإجابة عن عدة تساؤلات لعلّ أهمها:

- ما هي أهم الأبعاد التداولية التي تضمنّها كتاب البرهان في وجوه البيان؟

- وهل تتفق هذه الأبعاد الموجودة في كتاب تراثي مع الدرس الحديث؟

-هل استطاع "ابن وهب الكاتب" التطرق إلى أهم القضايا التي تناولتها التداولية؟

وعليه فقد حاولنا الإجابة عن هذه الأسئلة لذا اقتضت طبيعة الموضوع هيكلته في بنية تتألف من مقدمة، ومدخل عام، وفصلين، فكان مدخل البحث معنونا بـ: التداولية

والبلاغة، تناول فيه مجموعة من التعاريف التي لها علاقة بالتداولية والبلاغة ونشأة كل منهما.

أما الفصل الأول جاء موسوما بـ: اللسانيات التداولية، كان التحدث فيه يقتصر عن أهم موضوعات التداولية بالإضافة إلى فروعها وعلاقتها بالعلوم الأخرى وكذا إبراز مدى أهمية الأبعاد التداولية.

أما الفصل الثاني اشتمل على أهم الأبعاد التداولية من خلال كتاب "البرهان في وجوه البيان" لـ "ابن وهب الكاتب" تم التطرق إلى أهم مبادئ المحادثة والسياق بالإضافة إلى وظائف اللغة عند "ابن وهب" وأخيرا أفعال الكلام، وخاتمة كانت حوصلة لأهم النتائج المتوصل إليها.

فرضت طبيعة الموضوع الاعتماد على المقاربة التداولية القائمة على المنهج الوصفي التحليلي لتماشيه مع مضمون الدراسة التي تتطلب وصفا دقيقا وتحليلا علميا عميق لأهم الأبعاد التداولية الموجودة في كتاب "البرهان في وجوه البيان".

واعتمد هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع نذكر منها: طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، نعمان بوقرة: اللسانيات العامة؛ اتجاهاتها وقضاياها الراهنة.

ومن الصعوبات التي واجهت البحث:

- صعوبة التوفيق بين موضوع تراثي ضارب في القدم وبين قضية وليدة العصر الحديث.
- تداخل المصطلحات نظرا لاتساع الترجمة.
- ضيق الوقت ممّا صعب الإحاطة بجميع حيثيات البحث.

وختاما نحمد الله على توفيقه لنا لإنجاز هذا البحث، كما نتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى كل الذين قدموا لنا يد العون والمشورة ولو بكلمة طيبة ونخص بالشكر أستاذنا الفاضل: هشام بلخير الذي ندين له بالفضل لما بذل من جهد في تقويم هذا البحث ليخرج على هذا الشكل.

المدخل

التداولية والبلاغة (المفهوم والنشأة)

أولا: التداولية

1- تعريف التداولية:

أ- لغة

ب- اصطلاحا

2- نشأة التداولية

ثانيا: البلاغة

1- تعريف البلاغة:

أ- لغة

ب- اصطلاحا

2- نشأة البلاغة.

تعتبر التداولية من أحدث الدراسات اللسانية المعاصرة التي تدرس اللغة أثناء استعمالها في سياقات متنوعة مع مراعاة كل الظروف المحيطة بالعملية التواصلية، فتهتم بالمتكلم ومقاصده، وتراعي حالة السامع أثناء عملية التواصل وبالتالي إحاطتها بجميع أشكال الخطاب مما ساعدها ذلك على فرض نفسها كعلم في الميدان اللساني والنقدي.

أولا: التداولية

1- تعريف التداولية:

أ- لغة:

ورد في معاجم اللغة العربية عدة تعريفات من الناحية اللغوية للتداولية، فنجد أن دلالتها لا تخرج عن معنى التغير والتحول والتبدل فقد جاء في لسان العرب لـ "ابن منظور" في مادة (د و ل): "الدَّولَة اسم الشيء الذي يُتَداول، وتَداولنا الأمر أخذناه بالدُّول وقالوا دَواليك أي المُداولة على الأمر... ودَالت الأيام أي دارت والله يُداولها بين الناس، وتَداوَلَته الأيدي أخذته هذه مرة وهذه مرة، وتَداولنا العمل والأمر بيننا بمعنى تعَاورْناه فعمل هذا مرة وهذا مرة"[1].

كما ورد في معجم أساس البلاغة لـ "الزمخشري" في مادة (دَوَلَ): "دالت له الدّولة، ودالت الأيام بكذا، وأدال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكرَّة لهم عليه، وعن الحَجَّاج: "إنَّ

1- ابن منظور: لسان العرب، مج 11، دار صادر بيروت، ط3، 1994، ص 252-253.

الأرض ستُدال منَّا كما أُدِلْنا منها"... وأُديل المؤمنون على المشركين يوم بدر، وأُديل المشركون على المسلمين يوم أحد... والله يداول الأيام بين الناس مرّة لهم ومرّة عليهم والدّهر دُوَلٌ وعُقَبٌ ونُوَبٌ، وتداولوا الشيء بينهم[1]..."

معنى التداولية عند الزمخشري هي العقبة والدوران والتحول، والتغير من حال إلى حال.

وقد جاء في معجم مقاييس اللغة لـ "ابن فارس" في مادة (دَوَلَ): "الدال والواو واللام أصلان أحدهما يدّل على تحول شيء من مكان إلى مكان والآخر يدل على الضعف والاسترخاء، فأمَّا الأول قال أهل اللغة إندال القوم إذا تحولوا من مكان إلى مكان، ومن هذا الباب تداول القوم الشيء بينهم: إذا صار من بعضهم، والدولة والدّولة لغتان، ويقال بل الدولة في المال والدِّولة في الحرب، وإنما سمي بذلك لقياس الباب لأنه أمر يتداولونه، فيتحول من هذا إلى ذاك ومن ذاك إلى هذا"[2].

نستنتج من هذا أنَّ المعاجم العربية لا تخرج دلالتها للفظ (دَوَلَ) عن معاني: التحول والتبدل والتغير والانتقال من حال إلى حال آخر وهذا هو حال اللغة فهي متغيرة

1- الزمخشري: أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود،ج1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1998، ص 303.

2- ابن فارس: مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون،ج2، دار الفكر، بيروت-لبنان، دط، 1979، ص 314.

ومتجددة ومتنقلة بين الناس الذين يتداولونها فيما بينهم" وتلك حال اللغة متحولة من حال إلى حال لدى المتكلم إلى حال أخرى لدى السامع ومتنقلة بين الناس ويتداولونها ولذلك كان مصطلح التداولية أكثر ثبوتا بهذه الدلالة من المصطلحات الأخرى الذرائعية والنفعية والسياقية"[1].

ب- اصطلاحا:

التداولية ليست علما لغويا محضا، يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية، بل هي علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال استعمالها، لهذا فإن معظمهم يقر بأنّ التداولية هي إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، وتصير من ثمَّ جديرة بأن تسمى علم الاستعمال اللغوي[2].

أصبح من العسير بل ومن الصعوبات وضع تعريف جامع مانع للتداولية نتيجة تداخلها في بعض الجوانب مع العلوم الأخرى منها: علم الدلالة، علم اللغة الاجتماعي، علم اللغة النفسي بالإضافة إلى تشعب واتساع مجالاتها.

1- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، العلمة-الجزائر، ط1، 2009، ص 121.

2- ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط1، 2005، ص 16-17.

لهذا نجد "فرانسيس جاك" (Francis jack) يعرف التداولية بقوله: "دراسة الشروط القبلية التواصلية كما هي فلا يوجد لها طابع يرتبط بالظروف التجريبية، بل بشروط دلالة تواصلية عامة"[1].

ويعرفها أيضا " آن ماري دييـر" و"فرانسواز ريكاناتي" بقولهما:" التداولية هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية فهي إذن تهتم بالمعنى كالدلالية وبعض الأشكال اللسانية التي لا يتحدد معناها إلا من خلال استعمالها"[2].

يظهر من خلال هذين التعريفين للتداولية أنها تدرس اللغة من خلال استعمالها في سياقات متنوعة، مع مراعاة كل ما يحيط بهذه اللغة من خصائص وما تخضع له من مقاصد المتكلمين وهي بذلك تجاوزت التصورات التجريدية للغة.

إذن التداولية هي: "دراسة اللغة في الاستعمال (in use) أو في التواصل (in interaction) لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئا متأصلا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده ولا السامع وحده فصناعة المعنى تتمثل في تداول (negotiation) اللغة بين المتكلم والسامع في

1- فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط-المغرب، ط1، 1987، ص 84.

2- نعمان بوقرة: اللسانيات العامة؛ اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، أربد - الأردن، ط1، 2009، ص 162.

في سياق محدد (مادي، واجتماعي، ولغوي) وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما"[1].

أي أن التداولية تدرس اللغة في استعمالاتها؛ لأن فهم معنى أي تركيب لغوي لا يكون في الكلمات وحدها ولا ترتبط بالمتكلم ولا السامع وحدهما لأنّ المعنى يتضح إلا من خلال تداول واستعمال اللغة بين المتكلم والسامع في سياق سواء كان اجتماعي أو لغوي، وبهذا تتم العملية التواصلية بنجاح ونصل إلى المعنى الكامن. ومن هنا يكون "للمعنى ثلاث مستويات:

***المعنى اللغوي:** وهو المعنى المأخوذ مباشرة من دلالة الكلمات والضمائم والجمل.

***معنى الكلام:** وهو المعنى السياقي، يفهم من خلال السياق.

***المعنى الكامن:** وهو معنى المتكلم".[2]

نستنتج من كل ما سبق أنّ التداولية بمفهومها العام هو دراسة اللغة من خلال استعمالها في سياقات مختلفة ومتنوعة لإيصال المعنى المراد إلى الطرف الآخر وذلك لضمان نجاح العملية التخاطبية الحادثة بين المتكلم والسامع مع التركيز على الظروف المحيطة بعملية التواصل وكذلك العلاقة الاجتماعية التي تربط بين المتكلم والسامع.

1- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 2002، ص 14.

2- المرجع نفسه، ص 13.

2- نشأة التداولية:

مرت التداولية كما يمر كل علم بمراحل مختلفة ومتتالية تطورت خلالها "إذ بدأت معالمها تظهر على يد "سقراط" ثم تبعه "أرسطو" والرواقيون من بعده بيد أنّها لم تظهر إلى الوجود باعتبارها نظرية للفلسفة إلا على يد "باركلي"، تغذيها طائفة من العلوم على رأسها: الفلسفة، اللسانيات، والأنثربولوجيا، وعلم النفس، وعلم الاجتماع"[1].

وبهذا يمكن القول بأنّ التداولية تعود جذورها إلى اتجاهين: اتجاه فلسفي الذي تمثله الفلسفة التحليلية واتجاه لساني باعتبارها إحدى الفروع الثلاثة المكونة للسيميولوجيا، علم التركيب، علم الدلالة. فمصطلح التداولية بمفهومها الحديث يعود إلى الفيلسوف الأمريكي "تشارلز موريس" الذي استخدمه سنة 1938 دالا على فرع من فروع ثلاثة يشتمل عليها علم العلامات أو السيمية semiotics[2].

تتمثل هذه الفروع في: "**علم التراكيب: syntactic أو syntax:** وهو يعنى بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات بعضها مع بعض.

* **علم الدلالة: semantics:** وهو يدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تدل عليها أو تحيل إليها

1- نعمان بوقرة: اللسانيات العامة: اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص 163.

2- ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 9.

* **التداولية:** وتهتم بدراسة علاقة العلامات بمفسريها.

إلا أن التداولية لم تصبح مجالا يعتد به في الدرس اللغوي المعاصر إلا في العقد السابع من القرن العشرين بعد أن قام على تطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى التراث الفلسفي هم: أوستن، وسيرل، وجرايس، وقد كان هؤلاء الثلاثة من مدرسة فلسفة اللغة الطبيعية أو العادية في مقابل مدرسة اللغة الشكلية أو الصورية التي يمثلها "كرناب" وكانوا مهتمين بطريقة توصيل معنى اللغة الإنسانية الطبيعية من خلال إبلاغ مرسل رسالة إلى مستقبل يفسرها وكان صميم عملهم هو من صميم التداولية"[1].

وكانت بداية تطور اللسانيات التداولية بنظرية أفعال الكلام مع" جون أوستين" وطورها "جون سيرل" وبعض فلاسفة اللغة من بعده، والحق أنّ "جون أوستين" من خلال محاضرات "وليام جايمس" التي ألقاها عام 1955 لم يكن يفكر في تأسيس اختصاص فرعي للسانيات بل كان يهدف إلى وضع اختصاص فلسفي جديد وهو فلسفة اللغة، بيد أنّ تلك المحاضرات ستكون كذلك بوتقة التداولية اللسانية[2].

1- المرجع السابق، ص: 9-10.

2- ينظر: آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد للتواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مر: لطيف زيتوني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط1، 2003، ص 29.

لهذا لابد من إدراك أنّ البحث الذي قام به أوستين وما سبقه من بحوث والتي شكلت إرهاصات لنشأة التداولية التي كانت تدور في دائرة الفلسفة وكان الدافع وراء دراسة اللغة عند هؤلاء الفلاسفة هي التوصل لفهم دقيق لآلية عمل الذهن في تصوره للعالم غير أنّ أوستين تميز في بحثه عن البحوث التي سبقته لأنّه لم يكتف بدراسة الجمل الخبرية كما كان يفعل المناطقة بل توسع في ذلك لدراسة سائر أنواع الجمل[1].

ثانيا: البلاغة

1- تعريف البلاغة:

أ- لغة:

تشير المعاجم العربية إلى أنّ معنى البلاغة في اللغة هو الوصول والبلوغ كما جاء في لسان العرب لـ "ابن منظور" من " بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا: وصل وانتهى وأبلغه إبلاغا وبلغه تبليغا... وتبلغ بالشيء وصل إلى مراده وبلغ مبلغ فلان ومبلغته... البلاغ ما يتبلغ به ويتوصل إلى الشيء المطلوب والبلاغ ما بلغك، والبلاغ: الكفاية"[2].

1- ينظر: معاذ بن سليمان الدخيل: منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية مقاربة تداولية، دار محمد علي للنشر، القاهرة-مصر، ط1، 2014، ص 37.

2- ابن منظور: لسان العرب، ص 345-346.

كما ورد في مقاييس اللغة لـ"ابن فارس" في مادة بلغ: "الباء واللام والغين أصل واحد وهو الوصول إلى الشيء، تقول بلغت المكان إذا وَصلْت إليه، والبُلْغَة ما يُتَبَلَّغُ به من عيش... وكذلك البلاغة التي يمدح بها فصيح اللسان، لأنه يبلغ بها ما يريده ولي في هذا بلاغ أي كفاية"[1].

معنى البلاغة عند "ابن فارس" هي البلوغ إلى الشيء والوصول إليه.

والبلاغة عند "أبي هلال العسكري": "هي من قولهم: بلغت الغاية إذا انتهيت إليها، وبلَّغتُها غيري ومبلغ الشيء: منتهاه...فسميت البلاغة بلاغة لأنها تُنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه... والبلاغ أيضا: التبليغ"[2].

وبهذا يكون معنى البلاغة في التعريف اللغوي هو الوصول إلى الشيء، والانتهاء، والتبليغ، والبلوغ.

ب- اصطلاحا:

تناول العلماء العرب قديما عدة تعريفات للبلاغة؛ فمنهم من يقول أنّ البلاغة هي الإيجاز، وآخر يقول أنّ البلاغة هي الإطناب، وهناك من يجعلها تشتمل على الإيجاز والإطناب معا،

1- ابن فارس: مقاييس اللغة، ج1، ص 301-302.

2- أبو هلال العسكري: الصناعتين؛ الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1952، ص 6.

ولقد أورد "الجاحظ" في كتابه "البيان والتبيين" العديد من تعريفات العلماء للبلاغة كل حسب مفهومه لها ومنها:

1- قال الجاحظ: "قيل للفارسي: ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوصل. وقيل لليوناني: ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام واختيار الكلام. وقيل للرومي: ما البلاغة؟ قال: حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة يوم الإطالة. وقيل للهندي: ما البلاغة؟ قال: وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة"[1].

2- تعريف "المفضل بن محمد الضبي": "البلاغة هي الإيجاز في غير عجز، والإطناب في غير خطل"[2].

الملاحظ في تعريف المفضل للبلاغة انّه لا يجعل البلاغة تقتصر على الإيجاز فقط بل يجعل الإطناب أيضا هو البلاغة لذا فهو يجمع بين الإيجاز والإطناب حتى يحصل ما يعرف بالبلاغة.

3- تعريف "ابن المقفع" حيث يقول البلاغة هي: "اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابا، ومنها ما يكون ابتداء، ومنها ما

1- الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، ج1، دار الفكر العربي، بيروت-لبنان، ط 4، ، دت، ص 88.

2- المصدر نفسه، ص 97.

يكون شعرا، ومنها ما يكون سجعا وخطبا، زمنها ما يكون رسائل، فعامة ما يكون من هذه الأبواب الزحي فيها، والإشارة إلى المعنى، والإيجاز هو البلاغة"[1].

يظهر من تعريف "ابن المقفع" أنّ البلاغة تجري على وجوه كثيرة: ما يكون في السكوت: أي أنّ هناك حالات يفرضها السياق يتوجب على المتكلم السكوت فيها وتكون أثناء عملية الكلام، وأما ما يكون في الاستماع: يقصد بها الاستماع الجيد لما يقال أثناء عملية الحديث حتى يفهم المعنى المقصود ويتمكن من الردّ الجيّد على ما سمعه، أمّا في الاحتجاج: لابدّ أن تكون له القدرة على الردّ بالأدلة والبراهين المقنعة في المقام الذي يتطلب ذلك فلكل مقام مقال وبالتالي اختيار الجواب المناسب وذلك كل حسب طريقته في إيصال ما يرمي إليه إمّا شعرا أو سجعا أو خُطبا أو رسائل يكون فيها إشارة إلى المعنى المطلوب والإيجاز حسب ما يحتاجه ذلك المعنى وهذه هي البلاغة عند ابن المقفع.

4- تعريف "لعمرو بن عبيد": "البلاغة هي تخير اللفظ في حسن الإفهام"[2].

يشير هذا التعريف إلى أنّ البلاغة تقتضي اختيار اللفظ المناسب من طرف المتكلم ليتمكن السامع من فهمها فهما جيدا وبهذا تؤدي إلى الإفهام ونجاح العملية التواصلية.

1- الجاحظ: البيان والتبيين ، ص 115-116.

2- المصدر نفسه ، ص 114.

بعدما انتشرت علوم البلاغة شاع تعريف "الخطيب القزويني" الذي فرق بين بلاغة الكلام وبلاغة المتكلم فقال في تعريفه لبلاغة الكلام: "هي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته"[1].

معناه أن يكون الكلام مطابقا أو ملائما للوضع الذي يقال فيه الكلام وبالتالي وضع الكلمة في المقام المناسب لذلك.

وقال عن بلاغة المتكلم هي: "ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ"[2].أي هي ملكة يملكها المتكلم تختلف عن غيره يستطيع بها تأليف كلام في قمة البلاغة وفصيح من الدرجة الأولى.

2- نشأة البلاغة:

البلاغة العربية "في نشأتها ليست لها حدود تُعرف بها ولا قضايا تختص بها دون غيرها ولا مصطلحات تقتصر عليها وإنّما كانت بابا من أبواب فن القول العربي في الجاهلية، وفي ضوء ذلك لم لها اتجاه عام بل ارتبطت بجهود أصحابها ولا شك في أنّ نشأة علوم البلاغة كانت في ظل البحث عن إعجاز القرآن الكريم، فقد أثّر تأثيرا بالغا في نشأة البلاغة العربية"[3].

1- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2003، ص 20.

2- المصدر نفسه، ص 21.

3- عاطف فضل: مبادئ البلاغة العربية، دار الرازي، عمان-الأردن، ط1، 2006، ص 15-16.

هذا يبين أن البلاغة العربية لم تكن تعرف عند علماء العرب القدامى كعلم قائم بذاته وإنّما كانت عبارة عن باب من أبواب فن القول العربي ولقد كان للقرآن الكريم أثر بارز في نشأة علوم البلاغة.

لهذا يعتبر أول من أشار إلى هذا العمل العلمي في البلاغة هو "أبو عبيدة معمر بن المثنى" ت (10 هـ) في وضعه لكتاب "مجاز القرآن"و سبب تأليفه له هو السؤال الذي وجهه إليه "الفضل بن ربيع" عن معنى قوله تعالى: ﴿**طَلْعُهَا كَأَنَّهُ، رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**﴾ "الصَافَات الآية 65".

فأجابه أنّ معنى الآية يشبه قول امرؤ قيس في قوله: "ومسنونة زرق كأنياب أغوال" ومن هنا شرع أبو عبيدة في جمع ما ورد في القرآن الكريم من ألفاظ أُريد بها غير معناها أي المعاني التي لم يعرفها العرب، ولم تكن معروفة ومشاعة قبل إسلامهم وأسماه مجاز القرآن[1].

– ثم جاء من بعده "الجاحظ" (ت 255هـ) من خلال كتابه (البيان والتبيين) حيث جمع فيه الكثير من الألفاظ وإن لم يكن حدد مدلولاتها، أمثال البلاغة، والفصاحة، وحسن البيان[2].

1– ينظر: حميد آدم ثويني: البلاغة العربية؛ المفهوم والتطبيق، دار المناهج للنشر والتوزيع، ط1، 2007، ص 19–20.

2– المرجع نفسه، ص 20.

– كما ألف "أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل "(ت296هـ)" كتاب (البديع) جمع فيه سبعة عشر نوعا بديعيا، منها: الاستعارة، والكناية، والتورية، والتجنيس...

ومن الواضح أنّ اسم البديع بهذا الإطلاق يتناول ما سماه المتأخرون بعلم البيان "[1].

– كما تحدث " قدامة بن جعفر" (ت 337 هـ) "عن الكثير من المصطلحات البلاغية في كتابه (نقد الشعر، ونقد النثر) موافقا في ذلك ما قدمه "عبد الله بن المعتز الخليفة العباسي" في كتابه (علم البديع) جمع فيه المحسنات البديعية ضارب الأمثلة من نصوص القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وكلام العرب الفصحاء"[2].

كما أضاف إلى ما ذكر "ابن المعتز" من" أنواع البديع ثلاثة عشر نوعا فتممها ثلاثين نوعا ومن الأنواع التي ذكرها: التقسيم، والترصيع، والترشيح، والإيغال..."[3].

كما تطور الأمر أكثر"عندما ألف "أبو هلال العسكري" (ت 395 هـ) كتابه (الصناعتين: الكتابة والشعر) إذ بذل جهودا قيمة في وضع أسس البحث البلاغي فيما عده الباحثون المحدثون أول مصنف أشار إلى علوم البلاغة الثلاثة المعاني والبيان والبديع.

1– يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 2007، ص 15.

2– حميد آدم ثويني: البلاغة العربية؛ المفهوم والتطبيق، ص 20.

3– يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية، ص 15.

بيد أنّ عصر الازدهار في البحث البلاغي وتأليفه كان في القرن الخامس الهجري، إذ ظهر بلغة البلغاء الشيخ "عبد القاهر الجرجاني" (ت 471 هـ) الذي وضع كتابي دلائل الإعجاز في علم المعاني، وأسرار البلاغة في علم البيان وبعض المصطلحات البديعية"[1].

وسار على" منواله "الزمخشري" (ت 538 هـ) الذي ألف كتاب (الكشاف) حيث نجد فيه دراسة تطبيقية للأساليب البلاغية من استعارة ومجاز وتشبيه وكناية، كما ألف كتابا آخر أسماه (أساس البلاغة) الذي بيّن في كل مادة من مواده الاستعمالات الحقيقية لمواد العربية ثمّ بيّن تطورها الدلالي بطريق المجاز"[2].

ثمّ سار تأليف" الكتب البلاغية على نهج المنطق الفلسفي وخير من مثله "أبو يعقوب يوسف السكاكي" (ت 626 هـ) الذي هذّب مسائل البحث البلاغي وفق تصوره الفلسفي قربها على أبواب في البيان والمعاني والبديع مقلدا منهج الإغريق في كتابه "مفتاح العلوم" إذ جعله في أربعة أقسام: علم الصرف، علم النحو، علوم البلاغة، علم الشعر"[3].

كل هؤلاء العلماء كان لهم دور وأثر كبير في بزوغ هذا العلم واحتلاله المكانة المرموقة من خلال كتبهم الفذّة التي ساهمت في تطور البلاغة ونشوءها.

1- حميد آدم ثويني: البلاغة العربية؛ المفهوم والتطبيق، ص 20.

2- يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية، ص 21.

3- المرجع السابق، ص 21.

الفصل الأول:

اللسانيات التداولية

أولا: موضوعات التداولية:

1- الأفعال الكلامية. 2- الافتراض المسبق.

3- الاستلزام الحواري.

ثانيا: فروع التداولية:

1- التداولية الاجتماعية. 2- التداولية اللغوية.

3- التداولية التطبيقية. 4- التداولية العامة.

ثالثا: علاقة التداولية بالعلوم الأخرى:

1- علاقة التداولية بالفلسفة التحليلية.

2- علاقة التداولية بعلم الدلالة.

3- علاقة التداولية باللسانيات النفسية.

4- علاقة التداولية باللسانيات الاجتماعية.

رابعا: أهمية البعد التداولي.

أولا: موضوعات التداولية:

تقوم التداولية على عدّة قضايا ممّا صعب حصرها من طرف الباحثين والدارسين، نظرا لأسباب نذكر منها: "اتساع مجالها وتعدد بيئة نشأتها"[1]. لهذا سنتطرق لأهم الموضوعات والتي تعد من صميم الدرس التداولي وهي: (الأفعال الكلامية، الافتراض المسبق، الاستلزام الحواري).

1- الأفعال الكلامية:

الفعل الكلامي هو "كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي، دلالي، إنجازي، تأثيري. وفضلا عن ذلك، يُعد نشاطا ماديا ونحويا يتوسل أفعالا قولية لتحقيق أغراض إنجازية (كالطلب، والأمر، والوعد، والوعيد...)، وغايات تأثيرية تَخُص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول)"[2].

1- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط2، 2012، ص 70.

2- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 40.

والواضح أنّ فكرة الأفعال الكلامية نشأت عند "أوستن" من خلال ما رآه "فتجنشتاين" أنّ وظيفة اللغة لا تقتصر على تقرير الوقائع أو وصفها، بل إنّ الكلمة الواحدة قد يتعدد معناها بتعدد استخدامنا لها، وبحسب السياقات التي ترد فيها.

وانطلاقا من هذا تأسست نظرية أفعال الكلام عند "أوستن" من خلال المحاضرات التي ألقاها في هارفارد سنة 1955م تصدى فيها للردّ على فلاسفة الوضعية المنطقية، حيث أنكر أنّ اللغة تقتصر وظيفتها على وصف وقائع العالم وصفا إمّا صادقا وإمّا كاذبا[1].

ولعلنا" نوجز أهم ما قدمه "أوستن" لنظرية الأفعال الكلامية حيث نجده ميّز بين نوعين من الأفعال:

أ- **أفعال إخبارية:** وهي أفعال تصف وقائع العالم الخارجي، وتكون صادقة أو كاذبة.

ب- **أفعال أدائية:** تُنجز بها في ظروف ملائمة أفعال أو تُؤَدى، ولا توصف بصدق أو كذب، بل تكون مُوَفقة أو غير مُوَفقة.

ولا تكون الأفعال الأدائية موفقة إلاّ إذا تحققت لها شروط الملائمة وشروط قياسية. ولكن تبين "لأوستن" أنّه لا يوجد فارق بين هذه الأفعال لهذا جعل مرة أخرى الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال وهي:

1- ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 41-42-43.

أ- **الفعل اللفظي:** وهو يتألف من أصوات لغوية تنتظم في تركيب نحوي صحيح يَنتُج عنه معنى محدد وهو المعنى الأصلي، وله موجع يحيل إليه.

ب- **الفعل ألإنجازي:** وهو ما يؤديه الفعل اللفظي من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي.

ج- **الفعل التأثيري:** ويقصد به الأثر الذي يُحدثه الفعل الانجازي في السامع"[1].

وحسب "أوستن" يظهر أنّ اهتمامه كان أكثر بالفعل الإنجازي لأنّ ذلك الفعل لا يمكن أن يكون إلاّ لغويا، عكس الفعل التأثيري الذي لا يتميز بهذه السمة فهو يعتبر مجرد الأثر الذي يُحدِثه هذا الفعل الإنجازي في السامع، بينما الفعل اللفظي لا يكون الكلام إلاّ بواسطته، لهذا أصبح الفعل الإنجازي هو الأساس لهذه النظرية.

ثمّ يقدم تصنيفا آخر للأفعال الكلامية على أساس قوتها الإنجازية حيث جعلها خمسة أصناف:

1- **أفعال الأحكام:** وهي التي تتمثل في حكم يصدره قاضٍ أو حكم.

2- **أفعال القرارات:** تتمثل في اتخاذ قرار بعينه كالإذن والطرد والحرام والحرمان والتعيين.

3- **أفعال التعهد:** وتتمثل في تعهد المتكلم بفعل شيء، مثل: الوعد، الضمان...

4- **أفعال السلوك:** وهي التي تكون ردّ فعل لحدث ما كالاعتذار والشكر...

1- المرجع السابق، ص 42-46.

5- أفعـال الإيضـاح: تسـتخدم لإيضـاح وجهـة النظـر أو بيـان الـرأي، مثـل: الاعتـراض، والتشكيك، والإنكار[1].

يمكن القول إن أفكار "أوستن" تعد نقطة انطلاق أو تأسيس لنظرية أفعال الكلام إلى أن جاء تلميذه "سيرل" الذي نقده وطوّر هذه النظرية وأرسى معالمها حيث نجد عنده أن الفعل الكلامي لا يقتصر على ما يقصده المتكلم بل هو يرتبط بالعرف اللغوي والاجتماعي، "فعمَد "سيرل" إلى إعادة تقسيم "أوستن" للأفعال الكلامية وطوّر شروط الملائمة فجعلها أربعة شروط تتمثل في:

1- شرط المحتوى القضوي: يتحقق هذا الشرط في فعل الوعد مثلا إذا كان دالا على حدث في المستقبل يلزم المتكلم به نفسه.

2- الشرط التمهيدي: يتحقق هذا الشرط إذا كان المتكلم قادر على إنجاز الفعل وهو لا يكون واضح عند كل من المتكلم والمستمع أنّ الفعل المطلوب سينجز أو لا ينجز.

3- شرط الإخلاص: يتحقق هذا الشرط حين يكون المتكلم مخلصا في إنجاز الفعل.

4- الشرط الأساسي: محاولة المتكلم التأثير في السامع"[2].

1- ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 46.

2- المرجع نفسه، ص 48.

وقد "قدم "سيرل" تصنيفا آخر لما قدمه "أوستن" من تصنيف للأفعال الكلامية يقوم على ثلاثة أسس منهجية هي:

الغرض الإنجازي، اتجاه المطابقة، شرط الإخلاص[1].

وقد جعلها خمسة أصناف أيضا وهي:

1- الأفعال الحكمية: وهي أفعال تمثل الواقع تمثيلا يكون صادقا أو كاذبا.

2- الأفعال الأمرية: وهي أفعال يريد بها المتكلم من المخاطب فعل شيء ما.

3- الأفعال الإلتزامية: وهي أفعال يلتزم المتكلم من خلالها بفعل شيء ما في المستقبل.

4- الأفعال التعبيرية: وهي أفعال تعبر عن حالة نفسية تعينها شروط حول واقعة ما يحددها المحتوى القضوي للجملة.

5- الأفعال الإنجازية: وهي أفعال يتحقق محتواها القضوي، إذا توفرت شروط إنجازها[2].

حيث نجد أنّ "سيرل" ميّز بين نوعين من الأفعال الإنجازية مباشرة وغير مباشرة؛ ويقصد بالمباشرة مطابقة المتكلم لما يقصده، أمّا غير المباشرة فهي عدم مطابقة لما يريده المتكلم.

1- المرجع السابق ، ص 49.

2- ينظر: أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، ط2، 2010، ص 25.

مثال: هل تغلق النافذة؟ هذا فعل إنجازي غير مباشر قوته الإنجازية الأصلية استفهام يحتاج إلى جواب بالأداة (هل) بل هو طلب مؤدب يؤدي فعل إنجازي مباشر هو: (غلق النافذة)

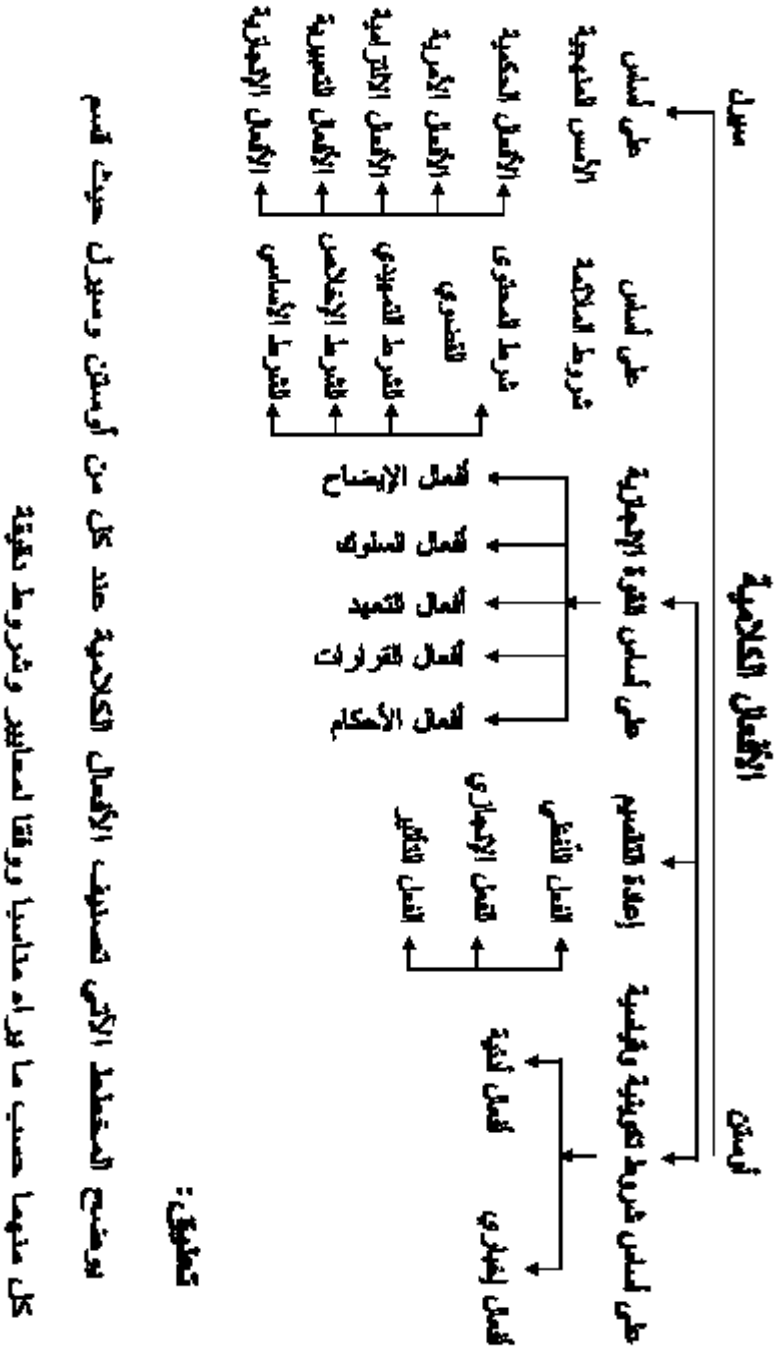

تعليق:

يوضح المخطط الآتي تصنيف الأفعال الكلامية عند كل من أوستن وسيرل حيث قسم كل منهما حسب ما يراه مناسبا ووفقا لمعايير وشروط دقيقة

2- الافتراض المسبق:

هو "مفهوم لساني ذو طبيعة لسانية يتم إدراكه من خلال العلامات اللغوية للقول "[1].

معنى ذلك أنّ الافتراض المسبق هو أنّ المتكلم عند حديثه مع المخاطب فهو يفترض له أنّه معلوم لديه، فعلى سبيل المثال: أُمٌّ تطلب من ابنها إغلاق الخزانة فالمفترض سلفا أنّ الخزانة كانت مفتوحة، وأنّ هناك ما يدعو لإغلاقها وأنّ السامع يستطيع الحركة، وأنّ المتكلم في منزلة الأمر وكلّ هذا يكون موصول بسياق وعلاقة بين المتكلم والسامع.

ولذلك كانت دراسة الافتراض المسبق ذات أهمية بالغة في عملية التواصل "فلا يمكن تعليم طفل معلومة جديدة إلا بافتراض وجود أساس سابق يتم الانطلاق منه والبناء عليه"[2].

وقد ميّز بعض الباحثين بين نوعين من الافتراض المسبق: الدلالي أو المنطقي، والتداولي؛ فالافتراض الدلالي السابق يكون كشروط بالصدق بين قضيتين. مثال: إنّ المرأة التي تزوجها عمر كانت مطلقة، هذا القول صادق أي مطابق للواقع. لَزَم أن يكون القول: "عمر تزوج مطلقة" صادقا أيضا، إذ أنّه مفترض سلفا.

1- عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2003، ص 112.

2- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 32.

وأمّا الافتراض التداولي السابق فلا علاقة له بالصدق والكذب. مثلا: إذا قلت: هاتفي جديد ثمّ قلت هاتفي ليس جديدا، فعلى الرغم من التناقض في القولين فإنّ الافتراض السابق هو أنّ لك هاتف.

3-الاستلزام الحواري:

يعدّ "غرايس" (Graise) هو المؤسس الحقيقي للاستلزام الحواري إذ ترجع نشأته إلى المحاضرات التي ألقاها سنة 1967م في جامعة هارفارد، فقدم فيها بإيجاز تصوره لهذا الجانب من الدرس التداولي والأسس المنهجية التي يقوم عليها. فانطلق من فكرة أنّ الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون وقد يقصدون أكثر ممَّا يقولون وقد يقصدون عكس ما يقولون[1].

حيث يرى "غرايس" أنّ جمل اللّغات الطبيعية في بعض المواقف تدل على معنى غير محتواها القضوي. مثال: الأستاذ (أ): هل الطالب (ج) مستعد لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة؟ الأستاذ (ب): إنّ الطالب (ج) لاعب كرة ممتاز.

1- ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 32-33.

فحسب وجهة "غرايس" يظهر من خلال إجابة الأستاذ (ب) أنه يتضمن معنيين: معنى حرفي: وهو أنّ الطالب لاعب كرة ممتاز، والمعنى الثاني استلزامي: هو أنّ الطالب غير مستعد لمتابعة الدراسة في قسم الفلسفة[1].

ولوصف هذه الظاهرة "اقترح "بول غرايس" (PG) نظريته المحادثية التي تنص على أنّ التواصل الكلامي محكوم بمسلمات أهمها:

1- **مسلمة الكمّ (Quantity)**: وتتمثل في كمية الأخبار التي يجب أن تلتزم بها المبادرة الكلامية.

2- **مسلمة الكيّف (Quality)**: وتعني لا تقل ما تعتقد أنّه كاذب ولا تقل مالا تستطيع البرهنة على صدقه. وبهذا المعنى يكون الضابط لهذه المسلمة هو الصدق في القول وامتلاك حجج وبراهين تثبت صدقه.

3- **مسلمة الملائمة:(Pertinence)**: فهي تستدعي أن تكون معلوماتنا ومساهماتنا في الحوار مُلائمة. فلكل مقام مقال، ولكل حادث حديث.

4- **مسلمة الطريقة:(Manner)**: وتعني الوضوح في الكلام وتجنب الغموض"[2].

1- ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 33.

2- بهاء الدين محمد مزيد: من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، تبسيط التداولية، دار شمس، القاهرة، ط1، 2010، ص 40.

وتحدث ظاهرة الاستلزام الحواري إذا تمّ خرق إحدى هذه المسلمات الأربعة.

وقد ميز "غرايس" بين نوعين من الاستلزام هما: استلزام عرفي وهو قائم على ما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ ودلالات بعينها لا تنفك عنها مهما اختلفت بها السياقات وتغيرت التراكيب. مثلا: في اللغة الإنجليزية (But) ونظيرتها في اللغة العربية (لكن) فهي هنا وهناك تستلزم دائما أن يكون ما بعدها مخالفا لما يتوقعه السامع. مثل: .My friend is poor, But hones

ومثل: زيد غني لكنّه بخيل. أمّا الاستلزام الحواري فهو متغير دائما بتغير السياقات التي يرد فيها[1].

موضوعات التداولية

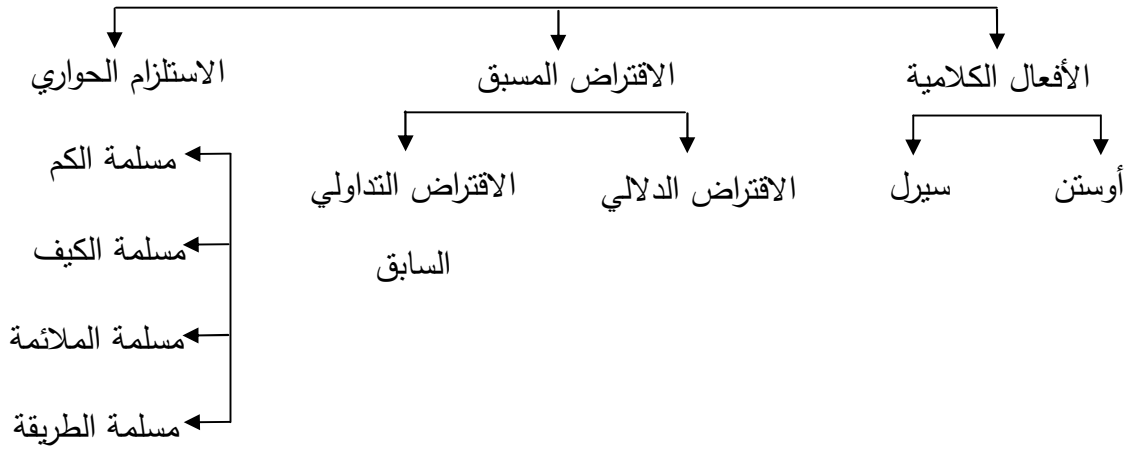

مخطط يوضح أهم قضايا وموضوعات التداولية

1- ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 33.

ثانيا: فروع التداولية:

التداولية ذات صلة وثيقة بكثير من العلوم كعلم الدلالة والفلسفة واللسانيات النفسية والاجتماعية... حيث نجدها تتداخل في كثير من الجوانب فهذا أدى إلى ظهور فروع للتداولية أهمها:

1- **التداوليــة الاجتماعيــة:** تنطلق من دراسة السياق الاجتماعي للوصول إلى فهم التركيب اللغوي.

2- **التداولية اللغوية:** تنطلق من دراسة التركيب اللغوي للوصول إلى السياق الاجتماعي التي تستخدم فيه.

3-**التداولية التطبيقية:** تُعنى بمشكلات التواصل في المواقف المختلفة.

4-**التداولية العامة:** تدرس الأسس التي تستعمل فيها اللغة استعمالا اتصاليا[1].

1- ينظر: المرجع السابق، ص 15.

ثالثا: علاقة التداولية بالعلوم الأخرى:

1- علاقة التداولية بالفلسفة التحليلية:

تعتبر الفلسفة التحليلية هي الينبوع المعرفي لأول مفهوم تداولي وهو "الأفعال الكلامية"، ولهذا تعد هي السبب في نشوء اللسانيات التداولية، حيث نشأت في العقد الثاني من القرن العشرين في فيينا بالنمسا، على يد الفيلسوف "غوتلوب فريجه" (Gottlob Frege) حيث اهتم بتحليل العبارات اللغوية وبهذا نجده ميز بين مقولتين لغويتين هما: اسم العلم والاسم المحمول، وهما عماد القضية الحملية، وبيَّن "فريجه" أنّ المحمول يقوم بوظيفة التصور، أي يقوم بإسناد مجموعة من الخصائص الوصفية الوظيفية إلى اسم العلم، أمّا اسم العلم فإنّه يشير إلى شيء فرد معين وهو عاجز تماما عن استخدامه كمحمول. فالوظيفة الأساسية لاسم العلم هي إشارته إلى شيء فردي معين، بينما الوظيفة الأساسية للمحمول هي دلالته على تصور، أي على مجموع الخصائص التي تُسْنَدُ إلى اسم العلم أو بعضها. فالعلم يؤدي معنى تام دون حاجة إلى لفظ ليتم معناه عكس المحمول الذي يحتاج إلى اسم علم ليعطيه معنى[1].

أمّا الفيلسوف "لودفيغ فيتغنشتاين" (Wittgenstein) الذي اقتفى أثر "فريجه" منتقدا مبادئ "الوضعانية المنطقية" ومؤسسا فلسفة جديدة سماها: "فلسفة اللغة العادية"، حيث اهتم بالبحث

1- ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 18-19.

عن المعنى وكيفية تحديده. وقد تأثر بالتجديد الفلسفي الذي جاء به "فريجه" عدد من الفلاسفة هم: هوسرل (Husserl)، وكارناب (Car nap)، وفيتغنشتاين، وأوستين (Austin) وسيرل (Searle) وغيرهم. وتجمع بينهم مسلمة عامة ومشتركة، مفادها أنّ فهم الإنسان لذاته ولعالمه يرتكز على اللغة التي بها يتم التعبير عن هذا الفهم. وانقسمت الفلسفة التحليلية إلى ثلاث اتجاهات هي: الوضعانية المنطقية، الظاهراتية اللغوية، وفلسفة اللغة العادية.وهذا ما يوضحه المخطط الآتي[1]:

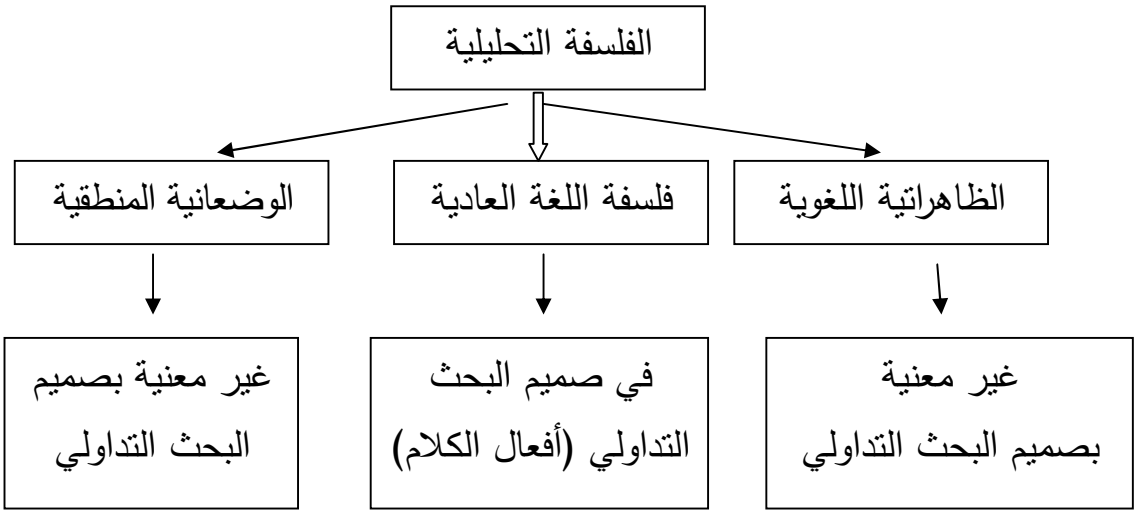

الملاحظ من خلال هذا المخطط هو انقسام الفلسفة التحليلية إلى ثلاثة فروع أو اتجاهات بسبب اختلاف روادها في نظرتهم للغة وهي: الظاهراتية اللغوية حيث نجدها بعيدة عن البحث التداولي، وكذلك الوضعانية المنطقية خارجة عن البحث التداولي، أمّا فلسفة اللغة العادية فهي من صميم البحث التداولي.

1- ينظر: المرجع السابق، ص 20-21-22-24.

2- علاقة التداولية بعلم الدلالة:

تبحث كل من التداولية والدلالة في دراسة المعنى في اللغة، ومن الضروري بيان حدود الاهتمام بالمعنى في علم الدلالة وفي التداولية لأنّ هناك من الباحثين من يعد التداولية امتدادا للدرس الدلالي. في حين يتم التمييز بينهما على أساس الكفاءة والأداء إذ يصنف العلماء الدلالة ضمن القدرة، بينما تصنف التداولية ضمن الأداء، بناءً على هذا فهي تقوم على التبعية لعلم الدلالة الذي يعرف شروط المعنى وحقيقته، والتداولية تهتم بدراسة هذه الشروط حين تربط المعنى بالاستخدام؛ أي الاستعمال في سياق معين، وتعتبر هذه أول نقطة تنفصل فيها عن الدلالة لأنّ استخدام المعنى يختلف عن المعنى، ولكن لا يعني الانفصال التام لأنّ المقولات التداولية تُبنى على المقولات الدلالية وهذا يُظهر أنّ أحدهما يكمل الآخر. حيث تُعنى الدلالة بتفسير الملفوظات وفق شروطها وقيودها النظامية، وتحدد المعاني الحرفية لها، كما تصف الكلمات ومعاني الجمل وتربطها بالصدق أو الكذب. أمّا التداولية فتُعنى بما وراء ذلك فتربط مقاصد المتكلم بالبحث عن المقام المناسب. [1].

3- علاقة التداولية باللسانيات النفسة:

للتداولية علاقة باللسانيات النفسية، حيث تعتمد التداولية في درسها على مقولات اللسانيات النفسية كجانب الشخصية. مثلا: فاطمة حين سماعها "النافذة مفتوحة"، فهي تستند إلى سرعة

1- ينظر: خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية ، ص 103-104.

البديهة، وحدَّة الانتباه، قوة الذاكرة، الشخصية، الذكاء، وبعض جوانب الطبع... فهي كلها عناصر تشرح ملكَة التبليغ الحاصلة في الموقف الكلامي ولها تأثير كبير في أداء الأفراد.

4- علاقة التداولية باللسانيات الاجتماعية:

نشأت اللسانيات الاجتماعية كردّ فعل على اللسانيات البنيوية التي أبعدت السياق الذي تُستَخدم فيه اللغة، فحاولت أن توضح كيفية تفاعل اللغة بمحيطها من خلال النظر إلى العوامل الخارجية التي تؤثر في استعمالنا واستخدامنا للغة، ويبدو من خلال هذا أنّ للتداولية تداخلا كبيرا مع اللسانيات الاجتماعية في بيان أثر العلاقات الاجتماعية كمراعاة طبيعة الموقف، ومراعاة طبقة المتكلم والمخاطب[1].

فمثلا: حين سماعنا: الجوّ بارد من غير معرفتنا بطبيعة الظروف التي قيلت فيها، فإنّنا نفهم أنّها مختلفة عن عبارة الجوّ مثلج.فيلجأ أحد السامعين إلى فتح النافذة أو غلقها أو تشغيل المكيف وهذا ما حاولت التداولية إثباته[2].

1- المرجع السابق، ص 104-105.

2- المرجع نفسه، ص 106.

رابعا: أهمية البعد التداولي:

تتبدى أهمية اللسانيات التداولية في "دمجها المستويات اللغوية المختلفة في منظومة واحدة ودراسة اللغة على أساسها أثناء الاتصال اللساني (دراسة اللغة قيد الاستعمال) فتجعل المتلفظ بالخطاب (المرسل) يرتبط بالمقام فيتنبأ بما يستلزمه الموقف، ليراعيه أثناء إنجاز خطابه وبذلك يغدو معنى الملفوظات هو القيمة التي يكتسبها الخطاب في سياق التلفظ[1].

وتأتي "أهمية التداولية من هنا في كونها تهتم بمختلف الأسئلة الهامة، لأنّها تحاول الإحاطة بعديد من الأسئلة، من قبيل: من يتكلم وإلى من يتكلم؟ ماذا تقول بالضبط حين تتكلم؟ ما هو مصدر التشويش والإيضاح[2]؟

من هنا يظهر أنّ التداولية لها أهمية كبيرة في دراسة اللغة أثناء استعمالها وتربطها بالمقام الذي يستدعي ذلك الخطاب كما تظهر أهميتها في محاولتها الإجابة عن العديد من الأسئلة التي تشكل محور الدراسة عندها والتي لم تجب عنها بعض النظريات اللسانية

1- باديس لهويمل: مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ط1، 2014، ص 40.

2- فرنسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص 2

الفصل الثاني:

الأبعاد التداولية في كتاب البرهان في وجوه البيان

أولا: مبادئ المحادثة.

ثانيا: السياق.

ثالثا: وظائف اللغة عند ابن وهب.

رابعا: أفعال الكلام.

أولا: مبادئ المحادثة:

تقوم على خمسة مبادئ وهي: مبدأ التعاون، مبدأ التأدب، مبدأ التواجه، مبدأ التأدب الأقصى، مبدأ التصديق.

1- مبدأ التعاون:

نجد نَص هذا المبدأ "ورد في اللسانيات الحديثة عند "بول غرايس" (P.Grice) إذ ذكره لأول مرة في دروسه المرفوقة بعنوان: "محاضرات في التخاطب"، ثمّ ذكره ثانيا في مقالته الشهيرة: "المنطق والتخاطب". وصيغة هذا المبدأ هي: **ليكن انتهاضك للتخاطب على الوجه الذي يقتضيه الغرض منه.**

يوجب هذا المبدأ أن يتعاون كل من المتكلم والمخاطب على تحقيق الهدف المرسوم، سواء كان هذا الهدف محددا أثناء الكلام أو قبل دخولهما في الكلام.

وتتفرع من هذا المبدأ قواعد حيث جعلها "غرايس" أربعة أقسام:

أ- قاعدتا كم الخبر وهما:

* لتكن إفادتك المخاطب على قدر حاجته.

*لا تجعل إفادتك تتعدى القدر المطلوب.

ب- قاعدتا كيف الخبر وهما:

* لا تقل ما تعلم كذبه.

* لا تقل ما ليس لك عليه بيِّنة.

ج- قاعدة علاقة الخبر بمقتضى الحال:

* ليناسب مقالك مقامك.

د-قواعد جهة الخبر وهي:

* لتحترز من الالتباس.

* لتحترز من الإجمال.

* لتتكلم بإيجاز.

* لترتب كلامك"[1].

يظهر من خلال كتاب "ابن وهب" اعتماده لكثير من مبادئ المحادثة وأولها **مبدأ التعاون** الذي يقوم فيه المتكلم والمخاطب على تحقيق الهدف الذي يسعى إليه كل منهما، وأُولى هذه القواعد هي **قاعدة كم الخبر** التي تقتضي إفادة المخاطب مع عدم تجاوز القدر المطلوب للكلام دون زيادة وهذا ما نجده عند "ابن وهب" في تعريفه للخبر

1- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998، ص 238-239.

فقال: "هو كل قول أفدت به مستمعه ما لم يكن عنده كقولك: قام زيد، فقد أفدته العلم بقيامه"[1] فكان الغرض منها هو إفادة المتكلم المخاطب أو المستمع بمعاني ظاهرة وصريحة بحيث لا يتجاوز المعنى المقصود من كلامه، أو عندما يكون معلوما لدى السامع، فعندئذ يكون قد اخترق قاعدة الكم التي تقتضي أن يكون الكلام قدر الحاجة دون زيادة ولا نقصان حتى لا تتعدى الحجم المطلوب.

كما يمكن أن يكون **كم الخبر** على شكل سؤال مثل ما نجده عند "ابن وهب" عندما يسأل شخص ما عن رأيه فيقول: "ما رأيك بكذا؟ رأيي كذلك"[2] .يقول رأيه حسب ذلك الشيء الذي سئِل فيه دون أن يتجاوز الكم المطلوب الذي يستدعيه ذلك المقام حتى لا يكون فيها خرق لقاعدة الكم.

أمّا بالنسبة لقاعدة **الكيف** التي تقتضي قول الكلام الذي يقوم على حجة وتبتعد عن قول ما هو كذب بل تقول الصدق دائما، مثل ما هو الحال أو ما نجده في الأمثال التي "يضربها الناس ويبينون لهم الأحوال بالنظائر والأشكال... والمثل مقرون بالحجَّة ألا ترى أنّ الله عزّ وجلّ لو قال لعباده: إنّي لا أشرك أحدا من خلائقي في ملكي لكان ذلك قولا محتاجا إلى أن

1- ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان، تح: حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، دط، ص93.

2- المصدر نفسه، ص 93.

يدّل على العلة فيه، ووجه الحكمة في استعماله"[1].قال الله تعالى: ﴿**ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ**﴾

[سورة الروم الآية: 28].

فكانت الحجَّة مقرونة بما أراد الله أن يخبرهم به ويبيّن لهم أنّه لا شريك له في ملكه، وهذا دليل على مراعاة الكيف وذلك بأن تقول ما تكون لديك عليه حجّة وواضح في ذهن المتكلم حتى يتضح في ذهن المستمع، وتجنب قول الكلام الذي يكون غير واضح في ذهن كل من المتكلم والمستمع.

كما أشار "ابن وهب" إلى الأشياء الظاهرة والباطنة أو القول الظاهر والباطن، فالقول الظاهر لا نستدل عليه لأنّه بيِّن وواضح عكس الباطن الذي لا تقوله حتى يكون قائما على حجَّة وتستدل على صحته.وقد أتى "ابن وهب" بمثال: "حرارة النّار وبرودة الثلج، والزوج خلاف الفرد"[2].هذا ظاهر وواضح المعنى لا يحتاج إلى دليل لإثبات صحته، واستدل بقوله صلّى الله عليه وسلّم: ﴿**لِيُبَلِّغَ الشَاهِدَ مِنْكُمُ الغَائِبَ**﴾[3] فالرسول صلّى الله عليه وسلم في حديثه هذا يوجب على المتكلم (الحاضر أو الشاهد) أن يعلم المخاطب (الغائب) وكلامه

1- ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان، ص 117-118.

2- المصدر نفسه، ص66.

3- المصدر نفسه، ص 67.

يكون مصحوبا بالحجَّة حتى يقتنع به المخاطب فيكون بذلك قد استفاد من سماعه للمتكلم لأنّه قال له ما يجب عليه قوله بالدليل وكان صادقا معه. وبالتالي إذا تمّ جمع كل من المعنى الظاهر والمعنى الباطن في قاعدة الكيف مع بعض يكون هناك خرق للقاعدة ويحدث فيما يسمى بظاهرة الاستلزام الحواري.

كما تحدّث في عنصر "الجدل والمجادلة" عن **قاعدة الكيف** التي تقوم على البيِّنة فقال عنهما أنّهما "قول يقصد بهما إقامة الحجّة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين"[1] واستدل بقوله تعالى على لسان إبراهيم: ﴿**وَحَاجَّهُ قَوْمُهَ، قال أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ**﴾

[سورة الأنعام الآية: 80].

فالمتكلم يقيم الحجة على ما يقوله حتى يُقوّي كلامه ويبين حقه، بشرط أن يكون بليغا في حجّته.

أمّا في قاعدة **علاقة الخبر بمقتضى الحال**، التي تقتضي لكل مقام مقال، هذا ما نجده عند "ابن وهب" في تعريفه للبلاغة فقال: "هي القول المحيط بالمعنى المقصود مع اختيار الكلام وحسن النظام، ومن ذلك لكل مقام مقال"[2]. لهذا وجب على المتكلم أن يقول ما يقصد في المكان المناسب والوقت المناسب والمقام الذي يستدعي ذلك. مثلا: إذا كان الكلام في الفرح لا

1- ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان، ص 176.

2- المصدر نفسه، ص 129.

تتكلم سوى عن الفرح دون أن تضيف أي كلام آخر أو تُدخل في الحديث الحزن مثلا وأنت تتكلم عن الفرح، لذا لا بدّ من مراعاة المقام.

كما نجد "ابن وهب" تحدث عن "الخطأ والصواب" ضمن قاعدة **علاقة الخبر بمقتضى الحال** فالصواب عنده هو: "كل ما قصدت به شيئا فأصبت المقصد فيه ولم تعدل عنه"[1].

لأنه من الصواب أن تعرف الوقت الذي يجب أن تتكلم فيه والوقت الذي يقتضي السكوت فيه واختيار الألفاظ والعبارات المناسبة التي وجب على المتكلم استعمالها مع المخاطب، مع مراعاة كل الظروف المحيطة به حيث قال "ابن وهب":" متى أتى الإنسان بالكلام في وقته أنجحت طَلَبه"[2].

لهذا وجب مراعاة المقام فلكل مقام مقال والمثال الذي أتى به" ابن وهب" أنّه من يحتاج إلى الرئيس في أمر معين ينتظر الوقت الذي يراه فيه نشيطا ومستعدا لسماعه فيكلمه فيما يريد، فيصير القول في ذلك ناجحا ومتى عجل وكلمه وهو كان مشغولا لا تتحقق حاجته وما يريده منه لهذا قال" ابن وهب":" لابد من اختيار الأوقات التي تصلح للقول وانتهاز

1- ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان ، ص 205.

2- المصدر نفسه ، ص 208.

الفرصة، واستشهد بقول أمير المؤمنين: انتهزوا الفرص فإنها تمر كمرّ السحاب، والسكوت أوقات هو فيها أمثل من الكلام"[1].

كما وضع شروط في الخطابة وما يقتضيه الخطيب فقال:" أن يكون الخطيب عارفا بمواقع القول وأوقاته واحتمال المخاطبين له فلا يستعمل الإيجاز في موقع الإطالة فيقصر عن بلوغ الإرادة، ولا الإطالة في موقع الإيجاز فيتجاوز في مقدار الحاجة إلى الإضجار والملائمة فقد قيل لكل مقام مقال"[2]. أي المواضع التي يجب أن يستعمل فيها الإيجاز والإطالة، ويختار الأوقات المناسبة لذلك والمقام الذي يستدعي ذلك المقال.

أمّا بالنسبة لقاعدة **جهة الخبر** التي تتطلب تجنب الالتباس والإجمال والتكلم بإيجاز وترتيب الكلام، وهذا ما نجده عند "ابن وهب" عندما تحدث عن **الحذف** الذي يعتبر عنصر مهم، فهو يُستعمل للإيجاز "والاختصار والاكتفاء"[3] بالقدر المطلوب، وقد استدل "ابن وهب" بقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾

[سورة يس، الآية: 45].

1- ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان ، ص 208.

2- المصدر نفسه، ص 153.

3- المصدر نفسه ، ص 121.

حيث نجد أنّ الله تعالى اكتفى بهذا القدر من الكلام لأنّه يعلم أنّه معلوم ومعروف عند المخاطب لهذا لا داعي للإطالة فهذا الحذف لم يستخدم عبثا وإنّما جاء ليؤدي وظائف متعددة منها الإيجاز والاختصار فالتقدير: "إذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم استكبروا وعتّوا وتمادوا"[1]. وقال أيضا: ﴿**وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ**﴾ [سورة النور، الآية: 10].

فقد حذف ما بعده لعلم المخاطب به، فالتقدير:" لولا فضل الله عليكم ورحمته لعذّبكم بما فعلتم"[2].

يعتبر الإيجاز عنصر مهم في قاعدة الجهة فشرطها أن تجيز في كلامك وخاصة إذا كان معلوما لدى المستمع أو المخاطب دون إطالة، والتي تفسد من روعة الكلام وجماليته.

وفي تعريف" ابن وهب" للبلاغة أشار إلى عنصر مهم وهو حسن النظام الذي يقصد به في قاعدة الجهة ترتيب الكلام حتى يكون واضحا في ذهن المخاطِب. "فما أتى في نهاية النظم قول أمير المؤمنين: أين من سعى واجتهد، وجمع وعدد، وزخرف ونجد، وبنى وشيّد؛

فأتبع كل حرف يما هو من جنسه وما يحسن معه نظمه... ولو قال عكس ذلك لكان كلاما مفهوما وفاسد النظم"[3].

1- ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان ، ص21.

2- المصدر نفسه، ص 121.

3- المصدر نفسه ، ص 130.

لذا لابد من ترتيب الكلمات والألفاظ حتى يكون الكلام مرتبا ومفهوما، وأيضا مراعاة المواضع التي ينبغي أن يستعمل فيها الإيجاز أو الإطالة فحدد الإيجاز في مخاطبة الخاصة لانّ الكلام يكون واضحا ومفهوما لذا لا داعي من كثرة الكلام "لذلك لا ترى في الحديث عن الرسول صلّى الله عليه وسلم والأئمة شيئا يطول وإنّما يأتي على غاية الاختصار. مثل ما رُوي عن عمار بن ياسر عندما تكلم يوما فأوجز، فقيل له: لو زِدْت، فقال: أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم باختصار الخُطب"[1].

نجد أنّ "ابن وهب" دعا هو أيضا إلى ظاهرة الإيجاز وتجنب الإطالة وخاصة إذا كانت معلومة عند المخاطب حتى لا يشعر بالملل من ما يقال له.

ومن شروط **جهة الخبر** أيضا الالتباس؛ أي لا تتكلم بغموض وكلام غير مفهوم بل يجب أن تُفصح عن الكلام الذي أنت بصدد قوله للمخاطب حتى يفهمه سواء كان للعام أو الخاص ويفهم المعنى المقصود، حيث قال "ابن وهب": "فأفصح الكلام ما أفصح عن معانيه ولم يحوج السامع إلى تفسير، لأنّ الكلام إنّما وُضع ليعرف به السامع مراد القائل"[2].

1- ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان ، ص 154- 161-162.

2- المصدر نفسه، ص 163.

وهذا ما يقصد به الالتباس أو الغموض في الدرس الحديث، لهذا دعا "غرايس" إلى تجنب هذا النوع من الالتباس حتى يفهم المعنى المقصود وبالتالي تتحقق عملية الفهم بين المتكلم والمخاطِب ويتم تحقيق الغاية المنشودة وهي نجاح العملية التواصلية.

2- مبدأ التأدب:

ورد هذا "المبدأ عند "روبين لاكوف" في مقالتها الشهيرة (منطق التأدب) وصيغة هذا المبدأ: **لتكن مؤدبا**، يقتضي هذا المبدأ أن يتعاون كل من المتكلم والمخاطب على تحقيق الغاية التي من أجلها دخلا في الكلام، وتتفرع من هذا المبدأ ثلاث قواعد تتمثل في:

أ- قاعدة التعفف: ومقتضاها:

لا تفرض نفسك على المخاطب.

ب- قاعدة التشكك: ومقتضاها:

لتجعل المخاطب يختار بنفسه.

ج- قاعدة التودد: ومقتضاها:

لتظهر الود للمخاطب"[1].

1- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 240-241.

قاعدة **التعفف** "توجب على المتكلم ألّا يستعمل من العبارات إلّا التي تمكنه من حفظ مسافة بينه وبين المخاطب، ولا يستعمل عبارات الطلب مباشرة، ولا يقتحم عليه إلا بالاستئذان قبل الكلام أو الاعتذار"[1].

نجد "ابن وهب" أشار إلى هذا عندما قال: "روى أنّ رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعمله عملا يدخله الجنة، فقال: لا تسأل الناس شيئا، إذا أردت حاجة من الله عزّ وجلّ فاسأله إيّاه فيما بينك وبينه وأخلص النيّة له وتطّهر من الذنوب الموبقة بالتوبة والاستغفار، فإنّه سميع الدعاء فعّال لما يريد"[2].أي إذا أخلصت النية لله تعالى تسأله عما تريد فإنّه سميع مجيب، ولا داعي لسؤال الناس. فسؤالهم يكون فيه تعفف لذا لا داعي له حتى لا تحرجهم.

لذا فالتعفف هو أن لا يفرض المتكلم نفسه على المخاطب وبذلك فقد وصف الله عزّ وجلّ قوما بقوله: ﴿**يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ**﴾ [سورة البقرة، الآية: 273].

فلا تسأل المخاطب فيما يحرجه أو ما يستغني الإجابة عنه قال "ابن وهب": "فقد قيل إنّ العاقل لا يردّ عن حاجته فقيل: وكيف ذلك؟ قيل لأنّه لا يسأل إلا ما يجوز، وألاّ يُحمل المسئول... فوق طاقته، فإنّه إذا فعل ذلك أحرجه وبهذا يقول الشاعر:

1- المرجع السابق، ص 241.

2- ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان، ص223.

إنّــك إن كلّفتنـــي مـــا لـــم أُطـــق ســـاءك مـــا ســـرّك منـــي خُلـــق"[1]

لذا وجب على المتكلم عند سؤاله المخاطب ألا يفرض عليه آراءه وأفكاره ويصرّ عليه بتقبل ما يسأله عنه فقد يكون ذلك حرجا له أو قد يسمع كلاما من المخاطب يحرجه ولا يسرّه.

كما نجده تحدث عن **مبدأ التشكك** في عنصر من عناصر الكلام وهو اللحن الذي يقصد به "ابن وهب" هو " متى خوطب –المخاطب– باللحن لم يفهمه مثل: ما حكى عن رجل قال لبعض الأعراب، وقد سأله عن أهله كيف أهلك؟ فقال له الأعرابي: قتلا بالسيف إن شاء الله، فظن الأعرابي أنّه سأله كيف يموت؟ ولو قالوا له: كيف أهلك؟ لأجابه بجوابه. وأيضا في سياق آخر: يُروى أنّ الوليد قال لرجل: من ختنك؟ قال: يهودي. فضحك منه، فقال له: لعلك أردت من ختنك؟ فهو فلان بن فلان"[2]. كأنّ المتكلم في سؤاله للمخاطب جعله يشك فهو لم يصارحه ولم يبين له القصد من سؤاله والغاية منه، فترك المخاطب هو الذي يختار ما يناسبه حسب السؤال الذي طُرح فيه.

كما يمكن إدراج القول المنفي –الذي يكون فيه الكلام سوى الحكم بالنفي– ضمن **قاعدة التشكك** التي تفرض على المخاطب أن يختار بنفسه ويترك للمخاطب مبادرة اتخاذ القرار

1– المصدر السابق، ص 223.

2– المصدر نفسه ، ص 205.

المناسب والملائم مثل ما جاء به "ابن وهب" " زيد غير قائم، وعمر غير قائم"[1] نفى عنهما القيام من خلال هذا يمكن اعتبار أن كل من زيد وعمر قد يكون أحدهما نائما والآخر جالسا لهذا وجب على المخاطب أن يختار الحالة الملائمة التي يكون عليها كل من عمر وزيد إما الجلوس وإما النوم، أمّا بالنسبة لمثال نفي البياض عن الجسمين فلم يثبت أو يبين اجتماعهما في لون واحد كالحمرة، والصفرة، والسواد أو كل منهما ينحدر من لون آخر، فيكون المخاطب بذلك هو الذي يقرر أنّ أحد الجسمين يكون إمّا أسود وإمّا أبيض أو كلاهما ينحدران من لون واحد.

يمكن اعتبار أن **قاعدة التشكك** عند "ابن وهب" تقوم على الظن والتخمين الذي "جعله لمن كان عقله صحيحا وكان تمييزه معتدلا وعليه ثابتا فقد صدق ظنه"[2]. وبهذا يكون المخاطب هو الذي يحتكم إلى عقله ليكون تمييزه منصفا وإعطاء كل جزء منه حقه بالتفكير عندها يستطيع الجزم بصدق ظنه حيث قال "ابن وهب": "إذا أردت أن يصدق ظنك فيما تطلبه بالظن... فأقم الشيء الذي يقع ظنك إلى سائر أقسامه في العقل وأعط كل قسم حقه من التأمل"[3]. مثل أن تظن عداوة إنسان لك فقال لمعرفة ذلك وجب عليه أن يميز إن كان هذا

1- ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان ، ص 70.

2- المصدر نفسه ، ص 80.

3- المصدر نفسه ، ص 81-82.

الشخص على عداوة معه أم لا وإن كان شكه وظنه في محله أم لا، وجاء بمثال قول أمير المؤمنين:" حين أتى بامرأتين وصبي وكل منهما تقول له أنّ ابنها فأعمل فكره وجعل – المخاطب– أي المرأتين هما اللتان تختاران، فعلم أن من شأن الوالدة الرقة على الولد فقال لقنبر: خذ السيف واقطع الولد نصفين وادفع إلى كل واحدة منهما نصفه فلما سمعت الوالدة بذلك أدركها الإشفاق فقالت: أنا أسمح بحصتي لصاحبتي، فعلم أنّه ابنها"[1].

يظهر من خلال هذا أن المتكلم هو الذي جعل المخاطب يقرر ماذا يختار وذلك يظهر من جواب الوالدة خوفا من خسارة ابنها فكان اختيارا موفقا وسليما.

أمّا بالنسبة **لقاعدة التودد** التي تجعل المتكلم يعامل المخاطب "معاملة الند بالند ولا تفيد هذه المعاملة إلا إذا كان المتكلم أعلى مرتبة من المستمع أو في مرتبة مساوية لمرتبته"[2].فـ "ابن وهب" لم يتحدث عن هذه القاعدة بما فيه الكفاية إلا في عنصر التودد ومقتضاها "لتظهر الودّ للمخاطب"[3] وهذا يعني أنّه عند التحدث مع المخاطب لا يجب أن تحسسه أنّك تنفر منه بل على العكس تعامله بودّ، أو تعامله بمثل ما يعاملك حتى يشعر بالاطمئنان اتجاه ما يظهره له المتكلم من اهتمام وثقة في المخاطب.

1- المصدر السابق، ص 83.

2- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص 241.

3- ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان، ص 238.

فالمودة بها صلاح جميع الأمور لأنّ المعاملة تكون برفق وبالتالي نجاح عملية التواصل أو التخاطب التي تُجرى بين المتكلم والمخاطب والله عزّ وجلّ أمرنا بالتواصل بالمودة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ [سورة الحجرات، الآية: 10]. أي لابدّ من المتكلم والمخاطب أن يعاملان بعضهما البعض بالمودة والمحبة، فقال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا**﴾ [سورة مريم، الآية: 96].

أمّا بالنسبة للودودان فهما " ودّ للمشاركة والمجانسة حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "**القلوب كأجناد مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**"[1]. معنى ذلك أنّ القلوب حين يحدث التعارف تتآلف فيما بينها وتتحد، أمّا إذا تناكرت تختلف. لهذا يشترط أن تكون هناك علاقة بين المتكلم والمخاطب مرتبطة بالودّ والألفة والمعاملة بالمثل.

تعد قواعد التأدب قواعد كلية كما ادعت "لاكوف" قواعد تستعملها المجتمعات اللغوية داخل المجتمع الواحد.

3- مبدأ التواجه:

ورد "مضمون هذا المبدأ عند (براون) و(ليفنسن) في دراستهما المشتركة: "الكليات في الاستعمال اللغوي: ظاهرة التأدب" وصيغة هذا المبدأ هي: لتصن وجه غيرك، فهذا المبدأ ينبني على مفهومين أحدهما: "الوجه" وهو كل ما يدعيه المرء لنفسه حتى تتحدد بها قيمته

1- المصدر السابق، ص: 238.

الاجتماعية، وهو على ضربين: (وجه دافع)، و(وجه جالب) ويقصد بالوجه الدافع هو إرادة دفع الاعتراض، أمّا الوجه الجالب هو إرادة جلب الاعتراف.

والثاني: التهديد الذي يهدد الوجه تهديدا ذاتيا، وهي الأقوال التي تعوق إرادات المستمع أو المتكلم في دفع الاعتراض وجلب الاعتراف. أمّا الخطط التخاطبية المتفرعة من هذا المبدأ كالآتي:

أ- أن يمتنع المتكلم عن إيراد القول المهدد.

ب- أن يصرح بالقول المهدد من غير تعديل يخفف من جانبه التهديدي.

ج- أن يصرح بالقول المهدد مع تعديل يدفع عن المستمع الإضرار بوجهه الدافع.

د- أن يصرح بالقول المهدد مع تعديل يدفع عن المستمع الإضرار بوجهه الجالب.

هـ- أن يؤدي القول بطريق التعريض، تاركا للمستمع أن يتخير أحد معانيه المحتملة"[1].

اعتمد "ابن وهب" في البيان الثالث (العبارة) بعض قواعد مبدأ المحادثة ومنها مبدأ التواجه

حيث نجده تحدث عن الظاهر والباطن فقال: "إن كانت الأشياء المبين عنها غير مختلفة في ذواتها، وإن منها ظاهر ومنها باطن، وأنّ الظاهر منه غير محتاج إلى تفسير، وإنّ الباطن هو المحتاج إلى التفسير"[2]. وقد استدل بقوله تعالى: ﴿**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا**

1- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص: 243-244.

2- ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان، ص 92.

تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سورة فصلت، الآية: 40]. وقال أيضا: ﴿**فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾ [سورة الكهف، الآية: 29].

يظهر من خلال كلام "ابن وهب" أنّ هناك بعض العبارات التي قد تحمل معاني باطنية غير المعاني التي تبدو ظاهرية وتعبر عن المعنى المنشود، لكن قد تكون في بعض الأحيان العبارات ذاتها تعبر عن المعنى المقصود مثل ما استدل به "ابن وهب" في [الآية 40 من سورة فصلت] امتنع عن إيراد القول المهدد هذا يبدو ظاهريا، لكن لم يبين لهم أي عمل يعملون بما أحبوا ولكن يتضمن معنى باطني كأنّ فيه تهديد بأنّه بما يعملون فهو بصير.

ثمّ إنّ الأقوال التي تهدد الوجه الدافع قد تكون أقوالا تجعله يؤدي شيء مثل في [سورة الكهف الآية:29]، فظاهر هذه الآية الكريمة أن يتخير المخاطب إمّا الكفر أو الإيمان ولكن في باطنها فيها شيء من التهديد والوعيد هذا بالنسبة للمستمع، هنا تحقق مبدأ من مبادئ التواجه وهي أن يؤدي "القول بطريق التعريض تاركا للمستمع أن يتخير أحد معانيه المحتملة"[1] ثمّ يصرح بالقول المهدد مباشرة من غير تعديل يخفف من جانبه التهديدي وهذا ما يظهر في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا**

1- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص 244.

وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [سورة الكهف، الآية: 29].

كأنه هنا يقول للمستمع ويُلزمه بفعل هذا الأمر إمّا بالقبول أو الرفض، لأنّ العذاب سيحل فهو يتضمن وعدا.

ثمّ نجد "ابن وهب" انتقل للتحدث عن الكذب وما هي العواقب التي تترتب عن الكذب فنجده استشهد بقوله تعالى: ﴿**وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾ [سورة البقرة، الآية: 10].

الله تعالى يهدد بالعذاب الأليم لمن يكذب فهو يصرّح بالقول المهدد دون تعديل.

4- مبدأ التأدب الأقصى:

وهو الذي "أورده (ليتش) في كتابه "مبادئ التداوليات" الذي يعده مكملا لمبدأ التعاون ويصوغ هذا المبدأ في صورتين إحداهما سلبية هي: **قلّل من الكلام غير المؤدب**، والثانية إيجابية هي: **أكثر من الكلام المؤدب**.

وتتفرع من هذا المبدأ قواعد نصوغها كالآتي:

أ- **قاعدة اللباقة:** وصورتاها هما:

* قلل من خسارة الغير.

* أكثر من ربح الغير.

ب- قاعدة السخاء: وصورتاها هما:

* قلّل من ربح الذات.

* أكثر من خسارة الذات.

ج- قاعدة الاستحسان: وصورتاها هما:

* قلل من ذم الغير.

* أكثر من مدح الغير.

د- قاعدة التواضع: وصورتاها هما:

* قلل من مدح الذات.

* أكثر من ذم الذات.

هـ- قاعدة الاتفاق: وصورتاها هما:

* قلل من اختلاف الذات والغير.

* أكثر من اتفاق الذات والغير.

و- قاعدة التعاطف: وصورتاها هما:

* قلل من تنافر الذات والغير.

* أكثر من تعاطف الذات والغير"[1].

استخدم" ابن وهب" **قاعدة اللباقة** عندما تحدث عن التعريض عندما قال: "التعريض للاحتراس فهو ترك مواجهة السفهاء والأنذال بما يكرهون خوفا من بوادرهم وإدخال عليهم بالتعريض والكلام اللين"[2]. وقد استشهد بقوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ سورة الأنعام، الآية: 108]. وقال لموسى وهارون في فرعون: ﴿**فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾ [سورة طه، الآية: 44].

من أجل كسب الغير لا يكون ذلك إلا بالكلام اللين والعذب وتجنب الكلام الخشن حتى لا ينفر من المتكلم، فهذه القاعدة تقتضي استعمال أسلوب لبق من أجل النهوض بالمخاطب لانجاز هذا الأمر.

قاعدة اللباقة تكون "بالطلب من حيث لا تكون المبالغة فيه، ولا الطلب بالطمع ولا

المسألة بالإلحاف ولا الأمر بالعنف... فقد أمر الله تعالى الكلام فيما تدعو الحاجة إليه بالرّفق واللين والتأني"[3]. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الجَاهِلِينَ**﴾ [سورة الأعراف، الآية: 199].

1- المرجع السابق، ص 246-247.

2- ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان، ص 111-112.

3- المصدر نفسه، ص 244.

فالمتكلم يحاول أن يقلل من خسارة الغير والإكثار من ربحه وذلك من خلال التحدث بلباقة أو الطلب برفق وليونة. قال الله تعالى: ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾ [سورة البقرة، الآية: 83].

لذا وجب على المتكلم أن يتحدث أو يطلب بتأنٍ ورفق، حتى يؤثر في قلب المخاطب فيتأثر بحديثه ويكون ردّ فعله إيجابي وبذلك يكون قد أكثر من ربح الغير.

كما اعتبر "ابن وهب" من يصنع لك جميل فأنت ملزم بأن تشكره على أكمل وجه بذكر أهم الخصال الحميدة، مثلا في التحية نجده استشهد بقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا حُيِّيْتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا**﴾ [سورة النساء، الآية: 86]. وقوله أيضا: ﴿**هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ**﴾ [سورة الرحمن، الآية: 60]. حسب رأي "ابن وهب" "جزاء من أحسن إليك أن تكافئه بمثل فعله... فإن أعجزتك المكافأة شكرته ونشرت محاسن فعله وذكرت ما ناله من فضله"[1].

أما بالنسبة للحسن والقبح من الكلام عند "ابن وهب" يمكن تصنيفه في قاعدة الاستحسان التي تقتضي الإكثار من مدح الغير والتقليل من ذم الغير، حيث قال أنّ الكلام الحسن هو "كل ما كان في معالي الأمور ومحاسنها"[2]. واستدل بقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا**﴾ [سورة فصلت، الآية: 33].

1- ابن وهب الكاتب: البرهلن في وجوه البيان ، ص 230.

2- المصدر نفسه ، ص 202.

معنى هذا أن "ابن وهب" جعل حسن الكلام يقتصر على استعمال كل ما حسن من الكلام والذي يستخدمه أهل العقل والحكمة، وهذا ما يقصد به في الدرس الحديث أكثر من مدح الغير.

أما القبيح من الكلام ما كان في "سفساف الأمور وأراذلها كالنميمة والغيبة، والكذب، إذاعة السر... وقد استشهد بقول الرسول صلّى الله عليه وسلم: "**إنّ الله لا يحب معالي الأمور ويكره سفسافها**"[1]. لهذا وجب على المتكلم أن يتجنب استعمال هذه العبارات الدنيئة، ومن أراد تجنبها فليأخذ العبرة من أفعال وأقوال غيره لقول الشاعر:

ابدأ بنفسك فانهها عن عيبها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم[2]

لا بد من إتباع هذه القواعد للوصول إلى المعنى المنشود لذا لابد أن تتكلم بلباقة حتى لا يقع كل من المتكلم والمخاطب في نزاع وتكون العلاقة بينهما قوية، أما في الاستحسان تستعمل كل ما يصلح من الكلام الحسن وتجنب قبيحه حتى تستطيع اكتساب الغير بكثرة مدحه، وقاعدة التواضع أن يكون المتكلم متواضعا في حديثه مع المخاطب ويبدأ مع نفسه بأن لا يكثر من مدح نفسه بل يتكلم بكل تواضع، وقاعدة الاتفاق تقتضي الابتعاد عن كل ما قد يؤدي إلى خلاف بين المتكلم والمخاطب ولا تتحقق العملية التخاطبية بل نكثر من العبارات الحسنة للوصول إلى اتفاق بينهما وبالتالي نجاح العملية التواصلية.

1- ابن وهب الكاتب: البرهلن في وجوه البيان ، ص 203.

2- المصدر نفسه ، ص 204.

5- مبدأ التصديق:

اتخذ "هذا المبدأ في التراث الإسلامي صورا مختلفة منها مطابقة القول للفعل وتصديق العمل للكلام، وصيغة هذا المبدأ **(لا تقل لغيرك قولا لا يصدقه فعلك)** حيث يقوم على نقل القول وتطبيقه تتفرع منه قاعدتين: قاعدة التواصل وقاعدة التعامل.

1- القواعد المتفرعة من قاعدة التواصل من جانبه التبليغي نذكرها كالآتي:

أ- ينبغي للكلام أن يكون لداع يدعو إليه، إما في اجتلاب نفع ودفع ضرر.

ب- يتبغي أن يأتي المتكلم به في موضعه ويتوخى به إصابة فرصته.

ج- ينبغي أن يقتصر من الكلام على قدر حاجته.

د- يجب أن يتخير اللفظ الذي يتكلم به.

2- قاعدة التعامل تتفرع منها ثلاث قواعد من جانبه التهذيبي:

أ- قاعدة القصد:

لتتفقد قصدك في كل قول تلقي به إلى الغير.

ب- قاعدة الصدق:

لتكن صادقا فيما تنقله لغيرك.

ج- قاعدة الاخلاص:

لتكن في تودك للغير متجردا عن أغراضك"[1].

نجد أنّ قواعد التواصل هي نفسها القواعد المتفرعة من مبدأ التعاون إلا قاعدة واحدة وهي قاعدة الكيف، فالقاعدة الأولى تقتضي أن يكون الكلام محددا ولداع يدعو إليه، أما القاعدة الثانية فهي تسبه إلى حدّ كبير قاعدة العلاقة في مبدأ التعاون التي تقتضي لكل مقام مقال، والقاعدة الثالثة تقوم مقام قاعدة الكم التي شرطها أن لا تتجاوز الحجم المطلوب للكلام، والقاعدة الرابعة تنزل منزلة قاعدة الجهة التي تقتضي اختيار الكلام وترتيبه والابتعاد عن الغموض وإذا لم يتوفر في الكلام هذه القواعد يكون مختل المعنى وغير كامل.

استخدم "ابن وهب" في عنصر الحديث أنواعا كثيرة من الكلام فنجد من بينها الجد في الكلام، اعتمد فيه على قاعدة القصد حيث جعل الكلام يقتصر على "كل ما قصد به قائله ووضعه موضعه وكان مما تدعو الحاجة إليه، كما قال بعض الحكماء: من علم أنّ كلامه من علمه قلّ كلامه إلا فيما يعنيه"[2]. واستشهد بقوله تعالى: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونْ**﴾ [سورة المؤمنون، الآية: 115].

يقصد بكلامه هذا أن المتكلم في حديثه مع المخاطب لا يتكلم سوى ما يقتضيه المقام وما يقصده، ولا يتجاوز ذلك حتى لا يخرج عن المعنى المنشود.

1- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص 249-250.

2- ابن وهب الكاتب:البرهان في وجوه البيان، ص 198-199.

كما يمكن إدراج الكلام السخيف ضمن "ما استعمله الحكماء في خطاباتهم لمن لا يعرف حتى يُفهم الغرض منه، فقال أنّ الخلفاء تستعمله في خطاب من لا يعرف غيره طلبا لإفهامه، فالإنسان إذا حكى هذا الكلام سواء نوادر أو مضاحك كما سمعها وعلى لفظ قائلها، ووقعت موقعها وبلغت غاية ما أُريد بها"[1]. فهذا الكلام كله يستخدم بغرض الإفهام.

و"الصواب هو كل ما قصدت به شيئا فأصبت المقصد فيه ولم تعدل عنه... فمن الصواب أن تعرف أوقات الكلام وأوقات السكوت"[2].

لذا لابد على المتكلم أن يختار الأوقات الملائمة التي يتكلم فيها، والأوقات التي يسكت فيها وأن يتفقد كل قول يلقي به إلى المستمع حتى يكون قد تم نقل القول ومن جهة تطبيقه. ثمّ تحدث عن قاعدة الصدق التي مقتضاها أن يكون المتكلم صادقا فيما ينقله للمخاطب، حيث نجد أن "ابن وهب" قد خصص لها عنوانا خاصا به وهو الصدق الذي أمر به الله تعالى واستدل بقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدقِ وصَدّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ المُتَقُونَ**﴾ [سورة الزمر، الآية: 32]. و"كل سائر الناس إنما يقصدون بقولهم وفعلهم إصابتهما"[3]. فكل واحد يحرص على قول الصدق في كل ما يقول وحتى الكاذب كما أشار "ابن وهب" يعتبر صادقا لأنّه يكذب

1- المصدر السابق، ص 200-201.

2- المصدر نفسه ، ص207 .

3- المصدر نفسه ، ص 217.

و"يصدق على كذبه، فطلب الصدق قصده"[1]. فالمتكلم حين يقول الصدق للمخاطب فإنّه حقق القصد من الكلام و نال ما يرمي إليه وبلغ الغاية المنشودة.

تطرق "ابن وهب" أيضا إلى قاعدة الإخلاص التي تفرض على المتكلم أن يكون متجردا من أغراضه، ويمكن اعتبار أنّ الشكر لله عزّ وجلّ يكون فيه إخلاص وحسن النية مثل قوله تعالى: ﴿**وَاشْكُرُوا لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ**﴾ [سورة البقرة، الآية: 152]. ففي الشكر يتوجب على المتكلم أن يكون مخلصا وحسن النية ولا يتهاون في إخلاصه.

وهذا ما نجده أيضا عند "ابن وهب" في كلامه عن النافع والضار، فالنافع هو الذي ينفع به المخاطب سواء كان شكر، أو طلب، أو أمر، أو دعاء... مثل ما جاء به دعاء الإنسان لله عزّ وجلّ فيما يريده لكن دعاءه يكون مصحوبا "بالإخلاص والتضرع"[2]. واستشهد بقوله تعالى: ﴿**أُدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً**﴾ [سورة الأعراف، الآية: 55].

فالدعاء يقتضي أن يكون المتكلم مخلصا وحسن النية ولا يتهاون في دعاء الله لكن بشرط أن يتخلص المتكلم من كل ما يشغله حتى يتقرب إلى الله فيهيئ نفسه لأنّ الله سيستجيب له بكل ما ينفعه ويبعد عنه ما يضره.

1- ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان، ص 217.

2- المصدر نفسه ، ص 219.

ثانيا: السياق

يعد السياق أحد المرتكزات التي تستند عليها اللسانيات التداولية في دراستها للغة أثناء الاستعمال؛ حيث يؤدي السياق دورا هاما في كشف مقاصد المتلفظ بالخطاب وتوضيح نواياه الظاهرة والخفية من أجل إفادة السامع معنى يتوخى منه خطابه والسياق نوعان: مقامي ولغوي، أما اللغوي يهتم بتحديد معنى الوحدات اللغوية انطلاقا مما قبلها وما بعدها والمقامي يهتم بمختلف الظروف المحيطة بالمتكلم والمتلقي[1].

أولى اللغويون اهتماما متزايدا منذ بداية السبعينات لدور المقام في فهم الجمل، "فهايمز" يعرف دور السياق في الفهم بأن يحصر من جهة عدد المعاني الممكنة، وأنه يساعد من جهة أخرى على تبني المعنى المقصود، فنجده يركز في المقام الأول على الأشخاص المشاركين في الحدث الكلامي. لكن التعميم الذي يجريه على الأحداث الكلامية يمكنه من تجريد وظيفتي الباث والمتلقي، فالباث هو المتكلم الذي يحدث القول، أما المتلقي فهو السامع الذي يستقبل القول، وتضاف إلى ذلك الموضوع المتحدث عنه وكذلك الظرف؛ أي السياق الزماني والمكاني للحدث، وكذلك الوضع الجسمي للأطراف المشاركة من خلال هيئة الجسم، ويضيف "هايمز" خصائص أخرى للمقام تشمل القناة، والشفرة المستعملة أي اللغة أو الأسلوب المستعمل، وصيغة الرسالة أي الصيغة التي تكون عليها الرسالة، والحدث أي

1- ينظر:باديس لهو يمل: مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، ص 16-165.

طبيعة الحدث التواصلي لأنه كلما زادت معرفة المحلل بخصائص السياق زادت قدرته على التنبؤ بما يمكن قوله[1].

يظهر اهتمام "ابن وهب" بظاهرة السياق من خلال معالجته لما يسمى القصد من الحديث أو ما يعرف بالمقام الذي يراعي فيه كل ظروف الكلام الذي يجري بين المتكلم والمخاطب، كما أشار "ابن وهب" في ظاهرة الخطأ والصواب" فإن الصواب كل ما قصدت به شيئا فأصبت المقصد فيه ولم تعدل عنه"[2]؛ لهذا فمن الصواب أن تقول ما تقصده وتهدف إليه مع مراعاة المقام الذي يَنصب فيه الكلام، من هنا يظهر أن السياق ليس مجرد وصف طبيعة اللفظ الذي يكون عليه، بل لابد من مراعاة الظروف التي يقال فيها هذا اللفظ.

فالسياق هو مجموعة أحداث تجري بين المتكلم والمخاطب في مقامات مختلفة، لذا فهو يحدد معنى الوحدة الكلامية على ثلاث مستويات يحدد أولا: أي جملة تم نطقها، ثانيا: أن يخبرنا بأنَّ أيَّ قضية تم التعبير عنها، ثالثا: القول إن القضية تم التعبير عنها[3].

1- ينظر: ج. ب. براون وج. يول: تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع، دط، 1997، ص 44-47-48-50.

2- ابن وهب: البرهان في وجوه البيان، ص 207.

3- ينظر: جون لاينز: اللغة والمعنى والسياق، تر: عباس صادق الوهاب، مر: يوئيل عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 1987، ص 222.

لذا لابد أن تكون هناك علاقة بين المتكلم والمخاطب مع مراعاة كل الظروف المحيطة بهما التي يجرى فيها الخطاب والتي سماها "ابن وهب" القصد وسماها البلاغيون فيها بعد مقتضى الحال.

أكدّ "ابن وهب" على ضرورة اختيار المواقف المناسبة التي يجب أن يتكلم فيها المتكلم والمواقف التي يجب السكوت فيها فيعرف المتكلم موقف كل حديث فيتحدث بالقدر المناسب فيقول: "ومن الصواب أن يعرف أوقات الكلام، وأوقات السكوت، وأقدار الألفاظ، وأقدار المعاني، ومراتب القول، ومراتب المستمعين له، وحقوق المجالس، وحقوق المخاطبات فيها، فيعطى لكل شيء من ذلك حقه"[1].

نلاحظ أنّ "ابن وهب" جعل الكلام يخضع إلى حال المتكلم والمخاطب ومن ثمة تظهر أهمية هذه العبارة لأنّها تجعل اللغة مرتبطة بالمواقف والظروف الاجتماعية أو النفسية أو اللغوية... كما أشار "ابن وهب" إلى ضرورة انتهاز الفرصة الملائمة للكلام وفق موقف معين، لأنه متى تحدث المتكلم بكلام في الوقت المناسب تحققت الغاية التي يرمي إليها من خلال كلامه حيث قال: "لابد من ارتقاب الأوقات التي تصلح للقول، وانتهاز الفرصة فيها... ثم متى سكت عن الكلام في الأوقات التي يجب أن يتكلم لَحِقه من الضرر بترك انتهاز الفرصة مثل ما يلحقه من ضرر الكلام في غير وقته، واستدل بقول الشاعر:

1- ابن وهب: البرهان في وجوه البيان ، ص 207.

واصمت عن جواب الجهل جُهدي وبعض الصّمت أبلغ في جواب"[1].

لقد أكدّ "ابن وهب" على ضرورة موافقة الحال (المتكلم والمخاطب) وما يجب أن يكون لكل موقف؛ أي مراعاة المقام الذي هو فيه (الفرح، الموت...) كما أوجب الكلام في الوقت الذي يناسبه، والسكوت في الوقت الذي يستدعي ذلك، وموازيا بين أقدار الألفاظ وأقدار المعاني؛ بمعنى أن يأتي اللفظ بما يناسبه من معنى يليق به وكذلك بين مراتب القول ومراتب المستمعين له وذلك من خلال التكلم بالقول الذي يجعله يؤثر في المستمع حتى لا ينكره أو يجهله وقد حث "ابن وهب" على هذا النوع من المطابقة والموازنة لأنه يجعله يشعر بأنّ الكلام مرهون بما يعيشه كل من المتكلم والمخاطب.

كما أشار "ابن وهب" إلى عنصر مهم وهو الحديث الذي "يجري بين الناس في مخاطباتهم ومجالسهم ومُناقلاتهم"[2] حيث يعتبر الحديث عنصر مهم في نظرية السياق لأنه يتطلب أن يكون هناك متكلم ومخاطب مع مراعاة كل الظروف المتعلقة بهما، وقد جعله "ابن وهب" أنواعا كثيرة وهنا تظهر عناية "ابن وهب" بفكرة مقتضى الحال أو المقام عندما جعل الكلام في باب الحسن والجدّ والبليغ والجزل والفصيح بحسب ما يناسب الكلام أي ما يليق به، فقد راعى فيه مقتضى الحال أي ما يقتضيه السياق، مثل ما قال "ابن وهب" في الحسن من

1- المصدر السابق، ص 208.

2- المصدر نفسه، ص 198.

الكلام "هو ما يقال في معالي الأمور ومحاسنها"[1] أي جعله يقتصر على كل ما يقال في الأمور الحسنة دون تجاوز ذلك وبهذا يكون المتكلم مراعيا للمقام.

أما البليغ من الكلام "أن تبالغ في الوصف والذم كما من شأنها أن تختصر وتوجز، وذلك لتوسعها في الكلام... ولكل من ذلك موضع يستعمل فيه"[2] ومن هذا نستخلص أنّ البليغ هو الذي يتخير صاحبه اللفظ المناسب في كل موقف، فيعرف ما يصلح لكل موقف فإن استدعى هذا الموقف الوصف، أو الذم، أو المدح... تحَدّث بذلك وإن لم يستدعي ذلك اختصر وأوجز.

واستنادا من هذا فالسياق بنوعيه (المقالي والمقامي) يجعل المخاطب يفهم قصد المتكلم من خلال خطابه معتمدا في ذلك على معطيات السياق.

وكذلك ما أورده "ابن وهب" في ظاهرة التقديم والتأخير حيث يرى أنّه مرتبط بالسياق اللغوي وكذلك مراعاة مقتضى الحال لأنّ ظاهرة التقديم والتأخير تجعل المخاطب يكشف عن مقاصد المتكلم والغاية المنشودة من ذلك الخطاب فـ"ابن وهب" استدل بقوله تعالى: ﴿**وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى**﴾ [سورة طه، الآية: 129].

1- ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان ، ص 202.

2- المصدر نفسه ، ص 122.

فكان "المراد هو: لولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما"[1]. فكان الغرض من التقديم هو التأكيد، وقوله أيضا: ﴿**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَالاَ يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ**﴾ [سورة النحل، الآية: 73]. "أراد ما لا يملك لهم رزقا من السموات والأرض لا يستطيعون شيئا". [2]

تتجلى عناية "ابن وهب" بظاهرتي التقديم والتأخير لأنهما يساهمان في تحديد قصد المتكلم وما يتطلبه الموقف.

تحدث "ابن وهب" عن عنصر هام من عناصر السياق المقامي وهو الإشارة المتمثلة في عنصر الوحي الذي يقصد به "الإبانة عمّا في النفس بغير المشافهة على أي معنى وقعت من إيماء، وإشارة، ورسالة، وكتابة"[3]. واستدل بقوله تعالى: ﴿**فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ المِحْرَابِ فَأَوْحى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًا**﴾ [سورة مريم، الآية: 11].

أي أن زكرياء عليه السلام لمّا أوحى له ربّه تعالى أن لا يُكَلم الناس فخرج إلى قومه وأشار إليهم بأن يُسَبحوا الله في الصباح والمساء، ومعنى أوحى إليهم: أشار إليهم.

1- ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان ، ص 125.

2- المصدر نفسه ، ص 126.

3- المصدر نفسه ، ص 113.

نجد أن "ابن وهب" اعتبر الوحي "الإشارة باليد والغمز والحاجب والإيماض بالعين،واستدل بقول الشاعر:

أشارت بطرف العين مَخيفة أهلها إشارة محزون ولم تتكلم.

فأيقنت أنّ الطّرَف قد قال مرحبا وأهلا وسهلا بالحبيب المُسلّم"[1]

فالمتكلم قام بفعل سلوكي حركي وهو الإشارة بطرف العين وذلك مخافة من الأهل، ومن خلال هذا السلوك فهم المخاطب الغرض المنشود من ذلك، لذا يعتبر هذا السلوك من أهم أدوات التبليغ.

يظهر اهتمام "ابن وهب" بالسياق في عنصر الخطابة فقال: "وأن يكون الخطيب أو المترسل عارفا لمواقع القول وأوقاته واحتمال المخاطبين له"[2]. أي أنّ الخطيب لابد أن يعرف الأوقات المناسبة التي يقول فيها ذلك القول، مثل موقف العزاء فيكون لديه عبارات خاصة، فعلى الخطيب أن يراعي أوقات الكلام ومواقعه.

كما نجده يقول: "ولا يستعمل ألفاظ الخاصة في مخاطبة العامة، ولا كلام الملوك مع السوقة، بل يُعطى كل قوم من القول بمقدارهم، ويزنهم بوزنهم"[3]. ف"ابن وهب" يجعل لكل طبقة من ذلك كلاما

1- ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان ، ص 114-115.

2- المصدر نفسه ، ص 153.

3- المصدر نفسه ، ص 153.

فكلام العامة له خصائصه وكلام الملوك له خصائصه، إذ نجده استحضر كل العناصر المحيطة بالمعنى والتي تقوي العلاقة بين اللغة والمقام، وكذلك قوله: "إنّ الإيجاز ينبغي أن يُستعمل في مخاطبة الخاصة، وذوي الأفهام الثاقبة الذين يجترئون بيسير القول من كثيره وبمُجمَله عن تفسيره"[1]. فهو تحدث عن مراعاة المقام في عنصر الإيجاز حيث ربط استعماله عند الطبقة الخاصة والعقول الراجحة حين يتكلمون ببسيط القول مع أنه يحمل معاني كثيرة.

كما تحدث "ابن وهب" عن المجالس وتباينها إذ خص لكل طبقة مجلس فيقول: "أما مجالس السوقة فليس يخلو من عاش بينهم من حضورها... ولا يستعمل في مخاطباتهم ومعاملاتهم بعض المقاربة لأحوالهم"[2]. إذ أن مجالس السوقة تختلف عن مجالس الخاصة، ففي مخاطباتهم تُستخدم الخطابات القريبة من أحوالهم فلا بد أن تخاطبهم بحسب قدراتهم ومقاماتهم لذا قيل لكل مقام مقال.

نجد أنّ "ابن وهب" يشير إلى مجموعة من عناصر سياق الحال حتى يتم بها فهم المعنى المقصود، لذا لابد من وجود عنصرين مهمين هما: المتكلم والمخاطب والعلاقة التي تربط بينهما وكذا الظروف المتعلقة بهما فكل هذا يساهم في تقريب المعنى إلى ذهن المخاطب وفهم مقاصد المتكلم من الكلام.

1- ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان ، ص154.

2- المصدر نفسه، ص 215.

ثالثا: وظائف اللغة عند ابن وهب:

تحدث "ابن وهب" في كتابه "البرهان في وجوه البيان" عن بعض وظائف اللغة التي حددها "رومان جاكبسون" وسنتطرق أولا إلى هذه الوظائف اللغوية التي حددها جاكبسون ثم إحضار نماذج من كتاب "ابن وهب" والآن نذكرها كما يلي:

1- الوظيفة التعبيرية: (la fonction expressive)

وتسمى أيضا الوظيفة الانفعالية، تركز هذه الوظيفة على المرسل لأنها تهدف إلى التعبير بصفة مباشرة عن موقف المتكلم تجاه ما يتحدث عنه، فهي بهذا تنزع في التعبير عن عواطف المرسل ومواقفه إزاء الموضوع الذي يعبر عنه، حيث يتجلى دور المواقف الانفعالية في ضبط الميزات التعبيرية المنسجمة مع طبيعة الرسالة في وضع خطابي معين.

وتتمظهر هذه الوظيفة الانفعالية عبر أدوات تركيبية خاصة يتصدرها التعجب وضمير المتكلم أنا[1].

تطرق "ابن وهب" إلى هذه الوظيفة التعبيرية التي تصب اهتمامها على المرسل تجاه كل ما يتحدث عنه، حيث يستعمل اللغة في التعبير عن أفكاره وعن مختلف القضايا التي هو

1-ينظر:الطاهر بومزبر:التواصل اللساني والشعرية؛ مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون، الدار العربية للعلوم-ناشرون، ط1، 2007، ص 35-38.

بصدد التكلم عنها وإعطاء أي انطباع عن أي انفعال سواء كان صادقا أو كاذبا "فمعيار الصدق والكذب هنا ليس بالقياس إلى القيمة الإبلاغية التي تحملها الرسالة، وإنما من زاوية الالتزام بالواقع الموصوف أو التخلص منه في خطاب ما"[1]. وهذا ما يظهر عند "ابن وهب" عندما تحدث عن الشعر والشاعر وما يجب أن يتصف ويتحلى به الشاعر حيث يقول "ابن وهب": "وليس المستحسن السرف والكذب والإحالة في شيء من فنون القول إلا في الشعر"[2].

يتضح من خلال كلام "ابن وهب" أنّ الشعر فيه كذب، فالشاعر يعمد إلى هذا الأسلوب لتناسب أفكاره الصياغة الشعرية وما يتطلبه الموقف فالغرض هو التعبير عن أفكاره سواء كان بالصدق أو بالكذب.

وقد "ذكر أرسطاطاليس الشعر فوصفه بأنّ الكذب فيه أكثر من الصدق، وذكر أنّ ذلك جائز في الصياغة الشعرية"[3].

1- المرجع السابق، ص35.

2- ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان، ص 146.

3- المصدر نفسه، ص 147.

باعتبار أن الشاعر هو المرسل وأن الوظيفة التعبيرية تركز عليه فهي بذلك تهتم بالتعبير عن مواقف المرسل تجاه الموضوع الذي يعبر عنه إما بالصدق أو الكذب المهم هو وصول الرسالة إلى الطرف الآخر من الخطاب وهو المرسل إليه.

2- الوظيفة الإفهامية:(La fonction cognitive

تسمى هذه الوظيفة أيضا بالتأثيرية، تبرز هذه الوظيفة على سطح الخطاب عندما تتجه الرسالة إلى المرسل إليه فالمميز لهذه الرسالة من الناحية التواصلية هو كونها ذات طابع لفظي يتمظهر في الأمر والنداء، ولا تقبل قيمتها الإخبارية الخضوع لأحكام تقييمية لأنها ترد في أسلوب إنشائي، ويمكن حصر جملة من المميزات التي تطبع الخطاب المرسل والموّجه إلى جهاز الاستقبال ويكون هذا الأخير هو المقصود بقيمتها الإبلاغية، وتتمثل هذه المميزات في: التأثير، والإقناع، والإمتاع، والإثارة[1].

نجد أن "ابن وهب" تحدث عن الوظيفة الإفهامية بإسهاب في كتابه "البرهان في وجوه البيان"

باعتبار أنّ هذه الوظيفة تركز على الكلام الذي يقال في الرسالة عندما تتجه إلى المرسل إليه وتأتي على شكل منادى وأمر وهذا ما كان واضحا عند "ابن وهب" عند حديثه عن الخبر وقد استدل بقوله تعالى: ﴿**فَاسْأَلوا أَهْلَ الذّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ سورة الأنبياء، الآية: 10. وقوله أيضا: ﴿**فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ**﴾ [سورة يونس، الآية: 94].

1- ينظر: الطاهر بومزبر: التواصل اللساني والشعرية، ص 39.

الله تعالى أمر بالسؤال عن أي شيء لا نعلمه حتى يتبين لنا ولا يشترط الصدق أو الكذب، لأن الله تعالى "لم يكن ليأمر بمسألته إذا لم يعلم إلا وأخبارهم تفيدنا علما وتزيل عنّا شكا"[1].

كما يمكن أن تأتي الوظيفة الإفهامية على شكل منادى لأن الغرض منه هو من أجل الإقناع والتأثير في المخاطب، ويظهر هذا عند "ابن وهب" عند حديثه عن الخطب التي جاءت على شكل نداء تتضمن الوعظ نذكر منها " خُطبة تُروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد حمد الله والثناء عليه فقال: "أيها الناس إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم، وإن **لكم** نهاية فقفوا عند نهايتكم...

وأيضا خُطبة قس بن ساعدة التي رواها عنه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: أيها الناس اجتمعوا، ثم اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكلّ ما هو آتٍ آتٍ"[2].

تبرز قيمة هذه الوظيفة عندما تتجه الرسالة إلى المخاطب وتؤدي الغاية التي من أجلها أُرسلت سواء كانت على شكل أمر أو منادى لأنهما يساهمان في إفهام المخاطب وباعتبار أنّ هذه الوظيفة تركز الكلام على المخاطب كما أنّها تختلف عن الوظيفة التعبيرية لأنها لا تحمل الصدق ولا الكذب.

1- ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان، ص 66.

2- المصدر نفسه، ص 155-156.

3- الوظيفة الإنتباهية: (La fonction phatique)

تهتم الوظيفة الانتباهية بالمحافظة على سلامة جهاز الاتصال والتأكد من استمرار مرور سلسلة الرسائل الموجهة إليه على الوجه الذي أرسلت به، وهذه الوظيفة يشترك في صنعها الباث والمستقبل ولهذا لم يغفل "جاكبسون" هذا المجال في دائرة التواصل اللفظي حين قال إن التشديد على الاتصال يمكن أن يوجد تبادلا موفورا للصيغ الطقوسية، بل يمكن أن يوجد حوارات تامة موضوعها الوحيد هو تمديد التخاطب لكن هذا المدلول يبقى محصورا في تأكيد واستمرار التواصل بين الباث والمستقبل[1].

تهدف هذه الوظيفة إلى نجاح العملية التواصلية التي يساهم في صنعها كل من المتكلم والمخاطب والتي تحصل بها الفائدة من الكلام وقد تطرق إليها "ابن وهب" عندما تحدث عن الخبر بأنه هو "كل قول أفدت به مستمعه ما لم يكن عنده، كقولك: قام زيد، فقد أفدته العلم بقيامه"[2]. لهذا وجب أن يكون الكلام الذي ينقله المتكلم إلى المخاطب واضحا حتى يستفيد منه والابتعاد عن كل ما يؤدي إلى الغموض حتى يكون هناك تبادل وتحاور بينهما، وهذا ما دعا إليه "جاكبسون" من خلال الوظيفة الانتباهية وذلك من أجل التشديد على الاتصال وبالتالي ضمان استمرار التواصل بين المتكلم والمخاطب.

1- ينظر: الطاهر بومزبر: التواصل اللساني والشعرية، ص 43-44.

2- ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان، ص 93.

4- الوظيفة المرجعية:(La fonction référentielle)

تم ترجمتها بمصطلحات منها: معرفية، إيحائية، غير أن هذه المصطلحات تشترك في كونها تشير إلى الوظيفة المهيمنة عندما تتجه الرسالة إلى السياق وتركز عليه وتتلون كل رسالة بهذه الوظيفة عندما يكون محتواها مؤيدا للأخبار الواردة فيها باعتبار أن اللغة فيها تحيلنا على أشياء وموجودات تتحدث عنها، فاللغة ينبغي أن تتجه إلى تفسير نفسها من حيث هي رموز معبرة عن أشياء، وتعتبر الأشياء في خطاب ما ألفاظ مرجعية[1].

تنبه "ابن وهب" إلى هذه الوظيفة عندما تحدث عن الخبر والإخبار فقال: "فلولا ما أتانا من الخبر في شرح مراد الله عزّ وجلّ في الصلاة والصيام... ولا مراد الله في الصلاة والصيام ولا كان ظاهر اللغة يدل عليه، بل كنا نسمي كل من دعا مصليا، وكل من أمسك عن شيء صائما"[2] يقصد به أنه لو لم يخبرنا الله بما يقصده بالصلاة والصيام لم نكن لنعرف مراده وتفسيره لها. فاللغة ظاهرة لا تعبر عن الباطن، أو المعنى المقصود، فهذه رسالة مؤدية للأخبار التي وردت في الصلاة والصيام، لهذا فاللغة لا تعبر عن ما هو باطن فهي عبارة عن رموز تعبر عن أشياء أخرى،" اللغة العربية، وجوه وأقسام، ومعان وأحكام متى لم يقف عليها من يريد تفهم معانيها، واستنباط ما يدل عليه لفظها، لم يبلغ

1- ينظر: الطاهر بومزبر: التواصل اللساني والشعرية، ص45.

2- ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان، ص 92-93.

مراده، ولم يصل إلى بغيته"[1]. فاللغة تحوي الكثير من الأشياء، ومن لم يحاول فهمها وما تدل عليه لن يصل إلى ما يريده، لهذا فاللغة يجب أن تفسر نفسها بنفسها.

فالوظيفة المرجعية تركز على السياق الذي ترد فيه الرسالة لهذا تعتبر هي الوظيفة المهيمنة، حيث نجد أنّ "ابن وهب" جعل الكلام يخضع إلى حال المتكلم والخاطب ومن ثمة يجعل اللغة مرتبطة بالمواقف والظروف المحيطة بها.

5-وظيفة ما وراء اللغة:(La fonction métalinguistique)

تستخدم مثل هذه الرسائل عندما يشعر المتخاطبان أنهما بحاجة إلى التأكد من الاستعمال الصحيح للسنن الذي يوظفان رموزه في العملية التخاطبية ويمكن تصنيف هذه الأنماط من الخطابات ضمن الكلام عن الكلام نفسه، أو القول خاصة إذا علمنا أنّ المنطق الحديث يميز بين مستويين من الكلام؛ هما: الكلام عن الأشياء أو الكلام عن الكلام أو ما يسمى ميتا لغة، هذه الوظيفة تعمل على وصف اللغة والتعريف بمفرداتها إنّها وظيفة كلام اللغة من اللغة نفسها.

1- المصدر السابق، ص 93.

6-الوظيفة الشعرية: (La fonction poetique)

تركز هذه الوظيفة على الرسالة اللفظية دون إهمال العناصر الثانوية الأخرى وهي لا تستقل بفن القول وحده ولا تقتصر عليه فقط، فـ"جاكبسون" يقر بأنّ كل رسالة تكون محملة بالوظيفة الشعرية وإن لم تكن هي المهيمنة فهي يمكن أن توجد في أي شكل من أشكال التعبير اللفظي كما توجد في الفنون الأخرى كالرسم والموسيقى وهي بهذا لا تقتصر على الشعر فقط.[1]

بالنسبة لهاتين الوظيفتين نجد أنّ "ابن وهب" لم يتحدث عنهما بإسهاب فقد اكتفى في حديثه عن وظيفة ما وراء اللغة عندما تكلم عن الشعر باعتبار أنّ هذه الوظيفة تقوم على وصف اللغة وصفا يشتمل على كل مفرداتها وتراكيبها ولذلك فهي وظيفة الكلام عن اللغة نفسها وهذا ما يظهر عند "ابن وهب" عندما قال: "ما روى عنه عليه السلام من أنّه سمع قوما يقولون: فلان علامة؟ فقال: وما هو علامة؟ فقيل: يعلم أيام العرب وأشعارها..."[2]

الواضح من خلال هذا القول أنّ المخاطب يريد أن يعرف ماذا يقصد بعلامة في قوله حتى يتضح معناها في ذهنه وتصبح واضحة عنده.

---

1 - ينظر: الطاهر بومزبر: التواصل اللساني والشعرية، ص 46-47-52-53.

2- ابن وهب الكاتب: البرهان في جوه البيان، ص 132.

وكذلك الحال بالنسبة للوظيفة الشعرية التي تركز على مضمون الرسالة ولكن لا تهمل بقية العناصر من متكلم ومخاطب والظروف المحيطة بهما، إلا أن هذه الرسالة يمكن أن تتمظهر في أي شكل من أشكال التعبير. فنجد أنّ مفهوم التخير يقوم مقام الوظيفة الشعرية من خلال الاختيار الموفق والمناسب للكلمات أو الألفاظ التي يعبر بها عن مقصده وفي هذا السياق يقول "ابن وهب" عن الشاعر وما يجب أن يختاره حتى يكون شعره حسن "أن يكون الشاعر قد عمد إلى معاني شعره فجعلها فيما يشاكلها من اللفظ، فلا يكسو المعاني الجدّية ألفاظا هزلية فيسخفها، ولا يكسو المعاني الهزلية ألفاظا جدية... ولكن يعطي كل شيء من ذلك حقه، يضعه موضعه.[1]

لهذا وجب على الشاعر أن يساوي بين اللفظ الذي يختاره والمعنى الذي يحمله حتى يكون شعره متماسك ومترابط في أجزائه ولا يضع الألفاظ والمعاني التي تحملها عشوائية.

رابعا: أفعال الكلام

1-الأفعال الكلامية عند "أوستن" و"سيرل":

تطرقنا في الفصل الأول إلى الأفعال الكلامية وتقسيمها عند كل من "أوستن" و"سيرل" وسنحاول أن نسقط هذه الأفعال على كتاب "البرهان في وجوه البيان" ل"ابن وهب" نبدأ أولا مع

1- المصدر السابق، ص 147.

"أوستن" الذي قسم أفعال الكلام إلى خمسة أفعال وهي: أفعال الأحكام، أفعال القرارات، أفعال التعهد، أفعال السلوك، أفعال الإيضاح، وأولى هذه الأفعال هي أفعال الأحكام التي تتمثل في إصدار حكم من طرف قاضٍ أو حكم وهذا ما أشار إليه "ابن وهب" عندما قال: " وليس يتجه الحكم في سائر المذاهب على شيء غير محدود، ولا منفصل؛ ألا ترى أنه متى شهد شاهدان على رجل بحق عند قاضٍ احتيج إلى أن يشهد الشهود بنسبه... وإلا لم يمض القاضي حكما عليه، وكذلك الحق في نفسه فإنه محتاج إلى أن يذكر أصله... فإذا فعل ذلك كان الحكم ماضيا بيقين من القاضي أنه قد أصاب الحكم فيما أمر به".[1]

فالقاضي لا يصدر أي حكم حتى يتأكد من صدق الشاهدين ضد هذا الرجل فإذا ثبت شيء أو صدقهما وجب على القاضي إصدار الحكم فيما يراه صائبا حتى يكون عادلا ويصيب الحكم فيما أمر به مثلا بالبراءة.

أمّا بالنسبة لأفعال القرارات التي تتمثل في اتخاذ القرار كالإذن كما قال "ابن وهب" في الجدل: "إنّ الجدل إمّا يقع في العلة بين سائر الأشياء المسئول عنها، وليس يجب على المسئول الجواب إلا بعد أن يستأذن في السؤال، فإن لم يأذن له في ذلك... فإن أذن له فقد لزمه الجواب".[2] هذا

1- ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان ، ص 69-70.

2- المصدر نفسه ، ص 180.

يعني أنّ المتكلم إذا أراد أن يسأل في مسألة معينة وجب عليه أن يطلب الإذن حتى يسمح له بالكلام ومتى أذن له تكلم بما أراد أن يسأل فيه.

ومن أفعال القرارات أيضا الحرام فهو بمثابة اتخاذ قرار بأن شيء كذا حرام وجب الابتعاد عنه "مثل تحريم المسكر؛ فإن قوما حملوه على أنّه الشراب...فحرموا قليل النبيذ وكثيره".[1]

هذا فيما يخص أفعال القرارات التي تتوجب اتخاذ قرار كطلب الإذن للتكلم أو السؤال عن أي شيء يريد المتكلم السؤال عنه، وكذلك فيما أُتخذ عنها قرار بأنها حرام كتحريم المسكر مثلا.

أما أفعال التعهد التي تتمثل في تعهد المتكلم بسلوك معين أو أن يتعهد بفعل شيء معين "كما وعد الله سبحانه وتعالى قوم موسى عليه السلام، دخول الأرض المقدسة إن أطاعوه في دخولها، فلما عصوه حرمها عليهم، فلم يدخلها أحد منهم".[2]

فالله تعالى أمر قوم موسى عليه السلام بطاعته وإن أطاعوه وعدهم بدخول الأرض المقدسة ولكن إن لم يطيعوه وعصوه منعهم من دخول هذه الأرض المقدسة، فالله تعالى وعد وإن أطاعوه يحقق ما وعدهم به.

1- المصدر السابق، ص 186.

2- المصدر نفسه ، ص 98.

وكذلك أيضا عندما "أوعد قوم يونس عليه السلام العذاب إن لم يتوبوا، فلمّا تابوا كشف عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا".[1] أما قوم يونس عليه السلام وعدهم الله تعالى بكشف عنهم العذاب إذا تابوا، فالله تعالى تعهد بفعل ما وعد به لقوم موسى ويونس فحقق ما وعد به.

أمّا أفعال السلوك التي تكون رد فعل لشيء معين إمّا بالشكر أو الاعتذار...إلخ وهذا ما نجده عند "ابن وهب" عندما أشار إلى الفرق بين الحمد والشكر فقال في الشكر: "هو الثناء بالفعل الجميل الذي قد وصل إليك نفعه... وتشكر الله سبحانه وتعالى على نعمته، وتشكر الرجل على معروفه".[2] فوجب في الشكر على المتكلم أن يشكر من يقدم له معروف أو يقدم له يد المساعدة كما يشكر الله تعالى على نعمه، فالشكر صفة محمودة أمرنا الله بها، وهذا كله يكون نتيجة ردّ فعل معين إزاء عمل معين.

والاعتذار أيضا يمكن تصنيفه ضمن أفعال السلوك لأنّه متى أخطأ المرء وجب عليه أن يقدم اعتذار لما فعله كما قال "ابن وهب": "فلا تعتذر إلا إلى من تحب أن يجد لك عذرا... وإن كنت مذنبا فسبيلك أن تعترف بذنبك وتعتذر منه وتسأل الصفح عنه".[3] لأنّ الإنسان إذا

1- ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان ، ص 98.

2- المصدر نفسه ، ص 231.

3- المصدر نفسه ، ص 236-237.

أخطأ وجب عليه أن يعترف بخطئه ويطلب العفو بالاعتذار حتى يصفح عنه الشخص الذي أخطأ معه سواء عن قصد أو عن غير قصد.

وآخر الأفعال عند "أوستن" هي أفعال الإيضاح التي تستعمل لتوضيح وجهة رأي أو فكرة ما ونجد أنّ "ابن وهب" لم يتحدث عنها كثيرا إلا في عنصر الخطأ والصواب عندما قال: "فإن الصواب كل ما قصدت به شيئا فأصبت المقصد فيه ولم تعدل عنه".[1]

فالمتكلم حين كلامه مع المخاطب من أجل توضيح وجهة رأيه وجب عليه أن يتكلم بما يقصده حتى يستطيع المخاطب أن يفهم الغرض من الكلام الذي يريد المتكلم قوله دون أن يكون هناك إلتواءات وألغاز فيه حتى يصيب المقصد من الكلام.

هذا بالنسبة لتقسيم "أوستن" للأفعال الكلامية على أساس قوتها الإنجازية، أمّا "سيرل" فقد قدم تقسيما مخالفا لتقسيم "أوستن" للأفعال الكلامية يقوم على الغرض الإنجازي واتجاه المطابقة وشرط الإخلاص وقد جعلها هو أيضا خمسة أقسام وهي: الأفعال الحكمية، الأفعال الأمرية، والأفعال الإلتزامية، والأفعال التعبيرية، والأفعال الإنجازية.

أولى هذه الأفعال هي الأفعال الحكمية التي تصف واقعة معينة وقد تحتمل الصدق أو

1- ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان ، ص 207.

الكذب وهذا ما نجده عند "ابن وهب" عندما أشار بأنّ الله لا شريك له "إنّي لا أشرك أحدا من خلائقي في ملكي"[1].

فالله تعالى يخبرهم بأنه لا شريك له في ملكه، يمكن اعتبار هذا وصفا صادقا للواقعة لأنّه حقا لا أحد يشارك الله في حكمه لأنّهم يعلمون أنّ الله لا إله إلا هو وحده لا شريك له.

كما وصف الجسم المتحرك بقوله: "إنّ حلول الحركة في المتحرك لما كانت حدا له، وجب أن يكون كل ما حلت فيه الحركة متحركا"[2]. يعتبر هذا وصف صادق وذلك لأنّ الحركة تكون إلاّ في المتحرك وهذا يثبت أنّ كل ما كانت فيه حركة فهو متحرك وهي تحتمل الصدق.

أمّا الأفعال الأمرية وهي التي يأمر فيها المتكلم المخاطب بفعل شيء ما مثل ما أمرنا به تعالى وهو دعاءه فيما يريده المخاطب من الله تعالى فقال "ابن وهب": "فإنّ من دعا ربه، فقد أطاع أمره، وعرف قدره لأنّ الله سبحانه بذلك أمره".[3] وقد استدل بقوله تعالى: ﴿**أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ [سورة غافر الآية: 60] فالله تعالى أمر عباده بدعائه.

1- المصدر السابق، ص 118.

2- المصدر نفسه ، ص 67.

3- المصدر نفسه ، ص 220.

كما أمرنا الله تعالى بالشكر لأنّه يثاب صاحبه عليه وفيه حسنة كما قال "ابن وهب": "أمّا الشكر: فإنّ فيه امتراء ومكافأة للنعمة وقد أمر الله سبحانه وتعالى به".[1] واستدل بقوله تعالى: ﴿**وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ**﴾ [سورة البقرة الآية: 152]

وأمرنا أيضا بقول الحق دائما دون كذب ولا نعتقد الباطل فقال "ابن وهب": "أمرنا أن نعتقد الحق ونقول به، وألا نعتقد الباطل ولا ندين به".[2] واستدل بقوله تعالى: ﴿**وَقُلِ الحَقَّ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ [سورة الكهف الآية: 29]

ويمكن إدراج أيضا النصح ضمن الأفعال الأمرية عندما "قال لبعض الخلفاء: إني أريد أن أنصحك يا أمير المؤمنين بكلمات..."[3]

لأن النصح قد يؤدي إلى الإرشاد والتوعية نحو الاتجاه الصحيح وبالتالي تؤدي إلى فعل شيء من خلال استفادته من النصيحة.

أمّا الأفعال الإلتزامية يكون فيها المتكلم ملتزم بأداء شيء ما في المستقبل ويكون شرط الإخلاص فيها على سبيل المثال الوصية فنجد أنّ "ابن وهب" أشار إلى هذه الأفعال عندما

1- ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان، ص 229.

2- المصدر نفسه، ص 88.

3- المصدر نفسه ، ص 242.

تحدث عن الكلام الهزل وما أوصى به العلماء في هذا النوع من الكلام كما قال "ابن وهب": "وقد أوصت العلماء بتجنب هذا الفن من الهزل فقالوا: إيّاك والمزاح..."[1]

يظهر من خلال هذا أنّ العلماء أوصوا بتجنب هذا الفن في المستقبل ولا نستعمله ضمن الكلام الذي يقال فهذه الوصية تتضمن التحذير بقولهم إيّاك.

كما قال أيضا: "وقد أوصى بعض الحكماء فقال: اعلم أنّه لا يتهيأ لك نقل رجل عن طريقته بالمناقضة والمكابرة، ولا سيما إذا كان ذا سلطان أو ذا نخوة، ولكن تقدر أن تعينه على رأيه..."[2] أي أنّك لا تستطيع أن تغير طريقة الرجل –مثلا في المعاملة– إذا كان ذا مكانة ونخوة ولكن تستطيع أن تعينه على رأيه.هذا الكلام أوصت به الحكماء ولا بد من العمل به في المستقبل.

أما بالنسبة للأفعال التعبيرية التي تقتضي التعبير عن الحالة النفسية، بشرط أن يتوفر فيها شرط الإخلاص وتدخل فيها الشكر، الاعتذار... ونجد أنّ "ابن وهب" أشار إلى هذا النوع من الأفعال عندما تحدث عن فنون الشعر ومنها المديح الذي يتفرع منه الشكر و"أتى

1– ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان ، ص 200.

2– المصدر نفسه ، ص 212.

بقول الشاعر:

لأشـــكرنك معروفـــا هممـــت بـــه إنّ اهتمامـك بـالمعروف معـروفُ"[1]

كمـا يمكـن إدراج الجـدل والمجادلـة ضـمن هـذا النـوع مـن الأفعـال لأنـه يـدخل فيهـا "الاعتذارات: ويدخل في الشعر والنثر".[2] فالاعتذار يعبر عن الحالة النفسية للشخص الذي يعتذر عن خطأه حتى يقبل عذره، كما قال "ابن وهب": "ومن ذلك قبول العذر ممن اعتذر إليك إن صدق في عذره لقول الشاعر:

أقبـل معـاذير مـن يأتيـك معتـذرا إنّ برّ عندك فيما قال أو فجرا"[3]

لأنّه من يأتي إليك يعتذر وهو صادق في عذره لابد من قبول عذره لأنّه نابع من قلبه.

أمّـا بالنسـبة للأفعـال الإنجازيـة فلـم يتحـدث عنهـا "ابـن وهـب" لهـذا نحـن فـي غنـى عـن التحدث عنها.

2-الأفعال البسيطة والأفعال المركبة:

الأفعال البسيطة هي التي تتكون من منطوق واحد ووحيد مثل: أفعال الجزم والالتماس والوعد والإلغاء والمعارضة والإعلان والنصح والتنبؤ... فالأفعال التي تقوم في الجملة

1- ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان، ص 136.

2- المصدر نفسه ، ص 176.

3- المصدر نفسه ، ص 242.

نسميها أفعال اللغة البسيطة.

أمّا الأفعال المركبة (المعقدة–فعل الحجاج) تتكون من منطوقات عدة؛ إذ يمكن أن يكون جزءً من الحجاج مضمرا، فالأفعال التي تقوم في النص نسميها أفعال اللغة المركبة ومنها الحجاج والتفسير والتخييل.[1]

يظهر أنّ "ابن وهب" استخدم هذه الأفعال في حديثه عن الخطب والرسائل، إذ استدل بخطبة رُويت عن أمير المؤمنين: "المرء مخبوء تحت لسانه، اعرف الحق تعرف أهله...أغنى الناس العقل، وأفقر الناس الحمق...والناس فيها رجلان: رجل ابتاع نفسه فأعتقها، ورجل باع نفسه فأوْبقها، إذا قدرت على عدوك فاجعل الصفح عنه شكرا للقدرة عليه، الصبر مطية لا تكبو، وسيف لا ينبو".[2]

الملاحظ من هذه الخطبة أن المتكلم نطق بإحدى عشرة جملة إذا أخذنا كل منطوق (جملة) على حدّة شكّل فعلا لغويا بسيطا، أمّا إذا أخذناها معا شكلت أفعالا مركبة أي حجاجا، فنصل إلى نتيجة هي سيُحسَن معرفة المرء من خلال حديثه.

ويمكن تصنيف هذا في الجدول التالي:

1– ينظر: حافظ إسماعيل علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، إربد–الأردن، ج5، ط1، 2010، ص 199.

2– ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان، ص 157.

المستوى الجملي	الأفعال اللغوية البسيطة	– اعرف الحق تعرف أهله – أغنى الناس العقل – أفقر الناس الحمق – رجل ابتاع نفسه – فأعتقها – رجل باع نفسه – فأوبقها – إذا قدرت على عدوك – فاجعل الصفح عنه شكرا للقدرة عليه – الصبر مطية لا تكبو – سيف لا ينبو	
المستوى النصي	فعل اللغة المركب		خطبة

جدول يمثل أفعال اللغة البسيطة وفعل الحجاج المركب

شروط فعل الحجاج وأثره

شـــــــــــروط المضمون القضوي	تعبر عن التزام بصدد مقبولية القضايا – اعرف الحق تعرف أهله – أغنى الناس العقل – أفقر الناس الحمق – رجل ابتاع نفسه – فأعتقها – رجل باع نفسه – فأوبقها – إذا قدرت على عدوك – فاجعل الصفح عنه شكرا للقدرة عليه – الصبر مطية لا تكبو – سيف لا ينبو

الشرط الجوهري	– إنّ تحقيق مجموع الأفعال البسيطة(1–11) يعتبر مجرد محاولة يقوم بها المتكلم حتى يستطيع المستمع بأن يعرف أنّ خطاب المتكلم مقبول.
الشـــــــروط الابتدائية	– يعتقد المتكلم أنّ المستمع لا يقبل دعواه. – يعتقد المتكلم أنّ المستمع سيوافق على القضايا المعبر عنها (1–11). – يعتقد المتكلم أنّ المستمع سيقبل جملة القضايا(1–11) كتعليل للقضية
الشروط الالتزامية	– يعتقد المتكلم أنّ الخطاب مقبول – يعتقد المتحدث أنّ القضايا المعبر عنها(1–11) مقبولة. – يعتقد المتكلم أنّ جملة القضايا تشكل تعليلا مقبولا للقضية.
الأثر التواصلي (الفهم)	– يفهم المستمع أنّ القضايا(1–11) تشكل حجاجا عن الخطاب.
الأثـــــــــر التفـــــــاعلي	– يقبل المستمع القضايا (1–11) كتعليل للقضية.

(القبول)	

كما نجد أنّ "ابن وهب" تطرق إلى الأفعال البسيطة والأفعال المركبة في عنصر الخطأ والصواب فيقول: "فإنّ الصواب كلّ ما قصدت به شيئا فأصبت المقصد فيه، ولم تعدل عنه".[1] إذ نجد أنّ "ابن وهب" نطق بثلاث جمل، فيعدّ كل منطوق فعل لغوي بسيط، أما إذا جعلناها معا شكلت لنا حجاجا (الأفعال المعقدة) وسنوضح هذا في جدول يمثل الأفعال اللغوية البسيطة والأفعال المركبة (الحجاج):

المستوى الجملي	الأفعال اللغوية البسيطة	-إنّ الصواب كل ما قصدت به شيئا. -فأصبت المقصد فيه. -لم تعدل عنه	سيحسن المتكلم اختيار ما يقصده والإصابة في ما يقصده
المستوى النصي	الأفعال المركبة	الحجاج	الدعوى

جدول يمثل فعل الحجاج المركب وآثاره

1- ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان، ص 207.

شـــروط المضـــمون القضوي	تعبر عن التزام بصدد مقبولية القضايا – إنّ الصواب كل ما قصدت به شيئا – فأصبت المقصد فيه – لم تعدل عنه
الشرط الجوهري	–إنّ تحقيـق القضـايا(1–3) –مجمـوع الأفعـال البسـيطة– يعتبـر مجـرد محاولـة يقـوم بهـا المـتكلم حتـى يتبـين للمسـتمع بـأنّ دعـواه مقبولة
الشروط الإبتدائية	–يعتقد المتكلم أنّ المستمع لا يقبل دعواه –يعتقد المتكلم أنّ المستمع ستتم موافقته على القضايا المعبر عنها –يعتقد المـتكلم أنّ المسـتمع سـيقبل بجملـة القضـايا(1–3) كتعليـل للقضية
الشروط الالتزامية	–يعتقد المتكلم أنّ الدعوى مقبولة –يعتقد المتكلم أنّ القضايا المعبر عنها مقبولة –يعتقد المتكلم أنّ جملة القضايا تشكل تعليلا مقبولا للقضية
الأثـــر التواصـــلي	–يفهم المتكلم أنّ القضايا تشكل حجاجا عن الدعوى

(الفهم)	
الأثـــر التفـــاعلي (القبول)	-يقبل المخاطب أنّ القضايا المعبر عنها كتعليل للقضية

كما تطرق "ابن وهب" إلى هذا العنصر من خلال استدلاله على عنصر الخطأ والصواب حيث يقول: "كالطبيب الحاذق الذي إذا رأى العليل يكره الدواء ويمتنع من أخذه، لطف له واحتال في إقامة شيء مكان شيء، وخلط ما يستبشع طعمه بما يُذهب ببشاعته، والتدبير لذلك حتى يسهل عليه أخذه، ويبلغ مراده من فقهه".[1]

نجد أنّ "ابن وهب نطق بثمانية جمل، فيخرج المتحدث من حين إلى أخر في خطاباته اليومية حجاجه على صور عدّة منها التخيل والإقناع والتفسير والإيضاح... سنوضح ذلك في جدول يمثل الأفعال اللغوية البسيطة والأفعال المركبة (المعقدة).

1-المصدر السابق ، ص 211.

المستوى النصي	الأفعال اللغوية البسيطة	-الطبيب الحاذق الذي إذا رأى العليل يكره الدواء -يمتنع من أخذه -لطف له -احتال في إقامة شيء مكان شيء -خلط ما يستبشع طعمه -بما يذهب ببشاعته -التدبير لذلك حتى يسهل عليه أخذه -يبلغ مراده من فقهه	سيحسن الطبيب الحاذق أن يتدبر خلطة لإزالة بشاعة مذاق الدواء وبذلك يسهل على المريض أخذه
المستوى النصي	فعل اللغة المركب	الحجاج	الدعوى

وعليه نجد أنّ "ابن وهب" تطرق إلى أهم عناصر العملية التواصلية التي تهتم بالمتكلم ومقاصده وبالخاطب وكل الظروف المحيطة بهما، وتراعي المواقف والمقامات التي يتم فيها الكلام أو الخطاب.

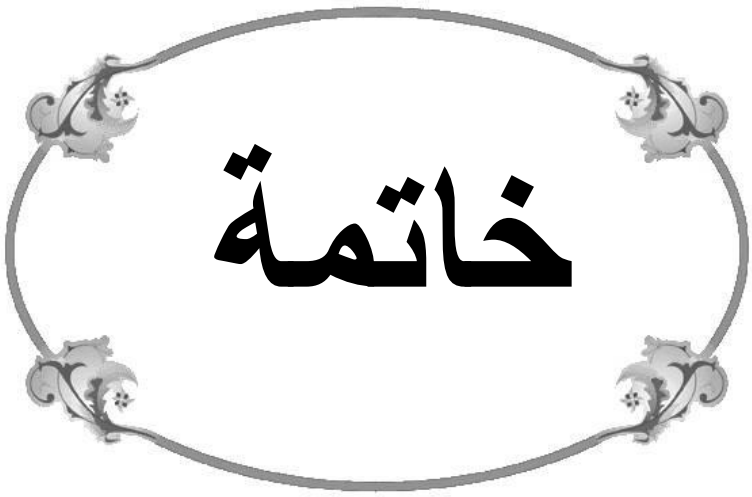

خاتمة

وفي ختام هذا البحث الذي حاولنا فيه إعادة قراءة التراث العربي قراءة حديثة من منظور تداولي، أصبح من الممكن تقييم أهم ما أفضى به البحث من نتائج لعل أهمها ما يلي:

- ❖ تهتم التداولية بمعالجة الكثير من القضايا منها: الأفعال الكلامية، الافتراض المسبق، والاستلزام الحواري.
- ❖ يعد الاهتمام بالجانب التداولي ظاهرة تتسم بها كل الخطابات، فقد حرص "ابن وهب الكاتب" على تطبيق مقولة لكل مقام مقال.
- ❖ تنبه "ابن وهب الكاتب" إلى أهم مبادئ المحادثة وتطرق إلى بعضها بإسهاب كبير في كتابه "البرهان في وجوه البيان".
- ❖ تنوعت قواعد المحادثة في كتاب "البرهان في وجوه البيان" حيث احتلت قاعدتي التعاون والتأدب النسبة الأكبر في الكتاب.
- ❖ تعددت الأفعال الكلامية عند "ابن وهب الكاتب" من أفعال تقريرية وأمرية وحكمية...
- ❖ اختلفت الأفعال الكلامية الواردة في كتاب "البرهان في وجوه البيان" بنوعيها (البسيطة والمركبة) وذلك مراعاة لأحوال المخاطبين وتحقيقا لمقاصد المتكلمين.

❖ بيّن "ابن وهب الكاتب" أنّ للسياق أثرا بارزا في بيان المعنى.

❖ تتجلى عناية "ابن وهب الكاتب" بظاهرة السياق بنوعيه المقالي والمقامي التي تجعل المخاطب يفهم قصد المتكلم.

❖ تنبه "ابن وهب الكاتب" إلى أهمية السياق والدور الفعال الذي يلعبه في العملية التخاطبية.

❖ نبّه "ابن وهب الكاتب" إلى العدول عن محاولة إكراه المخاطب وإحراجه.

❖ تطرق "ابن وهب الكاتب" لكثير من وظائف اللغة في كتابه "البرهان في وجوه البيان" إلاّ أنّ الوظيفة الإفهامية والوظيفة التعبيرية كانت الأكثر حضورا عنده.

❖ تناول "ابن وهب الكاتب" في كتابه الوسائل اللغوية وغير اللغوية المؤدية إلى تأثير وإقناع المتلقي.

❖ كان "ابن وهب الكاتب" على وعي بالدرس التداولي حيث رعى الجانب الاستعمالي للغة والمعاني التي تؤديها ومقاصد المتحدثين وأحوال المخاطبين.

❖ وجوب قراءة التراث اللغوي القديم في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة لاحتوائه على نظريات لسانية سابقة في أوانها.

ولعلنا نقترح بعض المواضيع التي يمكن أن تكون قابلة للدراسة منها:

-قواعد المحادثة في كتاب "البرهان في وجوه البيان" لـ: "ابن وهب الكاتب".

-السياق ودوره في كتاب "البرهان في وجوه البيان".

-الأفعال الكلامية في كتاب "البرهان في وجوه البيان".

قائمة

المصادر والمراجع

***القرآن الكريم برواية ورش عن نافع**

I.المصدر:

1- ابن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان، تحقيق: حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، دط، دت.

II.المراجع:

1-الكتب العربية:

2-أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية؛ مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، ط2، 2014م.

3-باديس لهويمل: مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ط1، 2014م.

4-بهاء الدين محمد مزيد: من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي؛ تبسيط التداولية، دار شمس، القاهرة، ط1، 2010م.

5-الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، الجزء الأول، دار الفكر العربي، بيروت-لبنان، ط4، دت.

6- حافظ إسماعيل علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته؛ دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، الجزء الخامس، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ط1، 2010م.

7- حميد آدم ثويني: البلاغة العربية؛ المفهوم والتطبيق، دار المناهج للنشر والتوزيع، ط1، 2007م.

8- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2003م.

9- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، العلمة-الجزائر، ط1، 2009م.

10- الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1998م.

11-الطاهر بومزبر: التواصل اللساني والشعرية؛ مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون، الدار العربية للعلوم، ناشرون، ط1، 2007م.

12- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998م.

13- عاطف فضل: مبادئ البلاغة العربية، دار الرازي، عمان-الأردن، ط1، 2006م.

15-عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2003م.

16- ابن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، الجزء الأول والثاني، دار الفكر، بيروت-لبنان، دط، 1979م.

17-محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 2002م.

18- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط1، 2005م.

19- معاذ بن سليمان الدخيل: منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية؛ مقاربة تداولية، دار محمد علي للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2014م.

20- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت-لبنان، ط3، 1994م.

21–نعمان بوقرة: اللسانيات العامة؛ اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، إربد–الأردن، ط1، 2009م.

22– أبو هلال العسكري: الصناعتين؛ الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1952م.

23– يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 2007م.

2-الكتب المترجمة:

24– آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت–لبنان، ط1، 2003م.

25– ج.ب.براون وج.يول: تحليل الخطاب، ترجمة: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع، دط، 1997م.

26– جون لاينز: اللغة والمعنى والسياق، ترجمة: عباس صادق الوهاب، مراجعة: يوئيل عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1987،1م.

27– فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، ط1، 1987م.

فهرس

الموضوعات

الفهرس

مقدمة..... أ–د

مدخل

التداولية والبلاغة (المفهوم والنشأة)

أولا: التداولية.....06

1– تعريف التداولية.....06

2– نشأة التداولية.....11

ثانيا: البلاغة.....13

1– تعريف البلاغة.....13

2– نشأة البلاغة.....17

الفصل الأول

اللسانيات التداولية

أولا موضوعات التداولية.....22

1– الأفعال الكلامية.....22

2– الافتراض المسبق.....28

3– الاستلزام الحواري.....29

ثانيا: فروع التداولية.....32

1- التداولية الاجتماعية.....32
2- التداولية التطبيقية.....32
3- التداولية اللغوية.....32
4- التداولية العامة.....32
ثالثا: علاقة التداولية بالعلوم الأخرى.....33
1- علاقة التداولية بالفلسفة التحليلية.....33
2- علاقة التداولية بعلم الدلالة.....35
3- علاقة التداولية باللسانيات النفسية.....35
4-علاقة التداولية باللسانيات الاجتماعية.....36
رابعا: أهمية البعد التداولي.....37

الفصل الثاني

الأبعاد التداولية في كتاب البرهان في وجوه البيان

1- مبادئ المحادثة.....39
2- السياق.....65
3- وظائف اللغة عند ابن وهب.....73
4- أفعال الكلام.....81
خاتمة.....99
قائمة المصادر والمراجع.....103

الفهرس.....107

ملخص البحث

تعتبر التداولية من أحدث القضايا اللسانية التي تُعنى بجميع أقطاب العملية التواصلية من متكلم ومخاطب وكل الظروف المحيطة بهما، لهذا وقع اختيارنا لكتاب "البرهان في وجوه البيان" لابن وهب الكاتب، وعليه جاء عنوان البحث معنونا بـ: الأبعاد التداولية في كتاب البرهان في وجوه البيان محاولين من خلال ذلك الإجابة عن الإشكالية المطروحة:

– ما هي أهم الأبعاد التداولية في كتاب ابن وهب الكاتب؟

وقد فرضت طبيعة الموضوع الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي لتماشيه مع مضمون الدراسة.

ولعل أهم ما أفضى به البحث من نتائج نذكر منها:

– بيّن ابن وهب أنّ للسياق أثر بارز في بيان المعنى.

– وجوب قراءة التراث اللغوي القديم في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة لاحتوائه على نظريات لسانية سابقة في أوانها.

الكلمات المفتاحية: التداولية، ابن وهب الكاتب، البرهان في وجوه البيان، الأفعال الكلامية.

Summary:

Pragmatic is considered as one of the modern linguistic issues that deals with all parts of communication: speaker, listen and all their conditions. that's why we have chosen this book "al borhan fi wojoh al bayan" to Ibn wahb and on this basis, our research was "dimensions pragmatic in the book "al borhan fi wjoh al bayan" trying to answer the problem:

- What is the important dimensions pragmatics in the book of Ibn wahb?

The nature of the book topic imposed on us to rely on the argumentative analysis because it fits our research.

The most important results the researches are:

-Ibn wahb proves that context has an important effect in shouring the meaning vocabulary.

-We have to read the ancient heritage in the light of the modern language studies because it contains linguistic theories not in its time.